

معيّار المقبولية في نصية روبرت دي بوجراند وأثرها في فهم النصوص التراثية والحديثة: وصف وتحليل

عاصم شحادة علي، عثمان جميل قاسم الكنج *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى توظيف أحد معايير النصية التي قال بها روبرت دي بوجراند، وهو معيار المقبولية، وهو معيار ليس من الضرورة وجوده في النص، ولكن لا بد عادة من توافر معيارين أساسيين في النص وفق العناصر المكونة، وهما: الاتساق والانسجام. تقوم الدراسة ببيان مفهوم المقبولية لدى المعاصرين الغربيين والعرب ولدى القدامى، ثم تتبع منهجية ما تقوم على بيان عناصر المقبولية في نصين اثنين من كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وهذه المنهجية تتكون من العناصر الآتية في تحليل النص الواحد: موقف المتلقي، وبناء السياق، واتساع الدلالات. وقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج، منها: اهتم أصحاب نظرية التلقي بالقارئ بوصفه الطرف الثاني في العملية الإبداعية، وظهرت تبعاً لذلك أنواع عدّة للقراء؛ واختلاف عناية القدامى بالمتلقي، فمنهم من اعتنى بطبقات المتلقين، ومنهم من اهتم بالقارئ الأعلى الذي نجده عند ابن قتيبة، والقارئ المقصود الذي نجده جلياً عند الجاحظ، ومنهم من اهتم بهيئة المتكلم ومكانته لما لها من أثر بالغ الأهمية في استجابة المتلقي وتفاعله مع الكلام، وأخيراً مثلت المقبولية اللغوية مبحثاً مهماً في مباحث مقبولية النص.

الكلمات الدالة: المقبولية، المعاصرون-القدامى، المفاهيم.

تحدث عنها المحدثون في مصنفاتهم، فجزورها ممتدة في تراثنا العربي ومفاهيمها واضحة جلية للعيان، فلا تحتاج إلا لمن يكشف الحجاب عنها ويشير إليها بالبنان ومعايير النصية هذه لا علاقة لها بمفهوم التداولية Pragmatics⁽⁶⁾ الذي تناوله الباحثون، إلا في عنصر الإعلامية، وقد وجدنا أن مفاهيم المقبولية متوافرة لدى العلماء الذين ذكرناهم كالجاحظ وابن قتيبة وغيرهما؛ بسبب وجود علاقة بين المتلقي والنص والمتكلم في نصوصهم، حيث يبنّوا في دراساتهم هذه المعنى بشكل واضح نوعاً ما، مع ملاحظة أن دراستنا تتعلق باللغة والدرس اللغوي، لأن معيارية النص التي أردنا تطبيقها تتجه باتجاه نصي لغوي.

اهتم المحدثون بدراسة علم اللغة النصي، وتمثل ذلك بجهود بعض علماء اللسانيات منهم هاريس Harris الذي قدم منهجاً لتحليل الخطاب Discourse Analysis نشره في مقال له بعنوان تحليل الخطاب (Harris, 1951)⁽⁷⁾ وفان دايك Van Dijk في مقالة له بعنوان جوانب في نحو النص (Dijk, 1972)⁽⁸⁾ وتبلور البحث النصي بصورته المكتملة على يد هاليداي ورقية حسن، حينما صدر لهما كتاب مشترك بعنوان الاتساق في الإنجليزية، (Halliday & Hassan, 1976)⁽⁹⁾ وقدم دي بوجراند ودرسلر De Beaugrande & Dressler منهجاً شاملاً في كتابهما

المقدمة

اعتنى المتقدمون من اللغويين العرب بدراسة نحو الجملة على اختلاف أنواعها وقعدوا لها، وبيّنوا العناصر اللفظية والمعنوية فيها؛ أما اللغويون المحدثون فقد انصب جهدهم على دراسة نحو النص Text Grammar والمعايير النصية، حيث إن النص لا يكون نصاً إلا إذا توافرت فيه الروابط والعلاقات التي تكوّن نسيج النص ونصيته، وهذه العلاقات هي ما أطلق عليها المحدثون المعايير النصية، وهي: الاتساق Cohesion⁽¹⁾، والانسجام Coherence⁽²⁾، والقصدية Intentionality، والمقبولية Acceptability، والموقفية Situationality⁽³⁾، والإعلامية Informativity⁽⁴⁾، والتناص Intertextuality⁽⁵⁾. ولا تعارض بين نحو الجملة ونحو النص؛ فالجملة جزء من النص وهي الوحدة الكبرى في تحليله؛ فالعلاقة بين نحو الجملة ونحو النص علاقة تكامل وليست علاقة إلغاء وتعارض، لذا فالدارس للتراث العربي القديم يمكنه أن يلمح النصية Textuality التي

* قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا؛ وزارة التربية والتعليم، الأردن. تاريخ استلام البحث 2014/10/28، وتاريخ قبوله 2015/3/19.

(مدخل إلى علم لغة النص)، (دي بوجراند، 1998) ⁽¹⁰⁾ وقدم براون ويول Gillian & Yule في كتابهما **تحليل الخطاب** (Gillian & Yule, 1983) ⁽¹¹⁾ نقلة نوعية في مجال تحليل الخطاب.

بيد أن التراث العربي القديم لم يكن بمنأى عن لسانيات النص، وقد ظهرت النظرة الشمولية للنص لدى البلاغيين القدامى، كما نجد عند الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) من تأكيد على النظرة الكلية في النص القرآني، (الباقلاني، 1971) ⁽¹²⁾ وعند عبد القاهر الجرجاني في كتابه **دلائل الإعجاز** من دعوته القارئ إلى الوقوف على النص الأدبي كاملاً حتى يستجلي كنهه، ويكشف ستار المعنى عنه، وتأكيداً على ضرورة تماسك النص، وهي ما أطلق عليها (نظرية النظم)، (الجرجاني، 2005) ⁽¹³⁾ وعند ابن الأثير في **المثل السائر** حين رفض ما يعرف بوحدة البيت في القصيدة العربية، وأنكر ما عابه النقاد بما يعرف بالتضمن في الشعر (ابن الأثير، د.ت). ⁽¹⁴⁾ وهذه الأمثلة وغيرها من الإشارات تُجّلّي لنا أن العرب القدامى عرفوا النص، وأدركوا أهميته، وأشاروا إلى أن دلالات الكلام لا تتحقق بالجمال المفردة بل بالوقوف على النص بمجمله.

وتناول علماء اللسانيات دراسة النصوص من وجهين الأول: الترابط الرصفي، وموضوعه النظام النحوي الافتراضي (نحو الجملة)؛ (دي بوجراند، 1998) ⁽¹⁵⁾ وأما الثاني فهو الترابط المفهومي، وموضوعه النحو الدلالي (نحو النص)، ونحو النص يستدرك ما لا يدركه نحو الجملة من القدرة على تشخيص المعنى وفهمه في الخطاب Discourse؛ (دي بوجراند، 1998) ⁽¹⁶⁾ وذلك بتوافر المعايير النصية التي حددها دي بوجراند حين عرف النص بأنه "حدث تواصل يُلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية Seven Standards of Textuality مجتمعة، ويَزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي: السبك، والحبك، والقصيدة، والمقبولية، والإعلامية، والموقفية، والتناص". (دي بوجراند، 1998) ⁽¹⁷⁾ ويسعى البحث إلى الوقوف على معيار واحد من معايير النصية وهو المقبولية، ودرسته دراسة وصفية تحليلية تأصيلية في التراث العربي القديم، متخذاً نصوصاً من كتاب **البيان والتبيين** للجاحظ أنموذجاً، ونصاً معاصراً من قصيدة شعرية لبدر شاكر السياب.

المقبولية عند المعاصرين والقدامى العرب

عند المعاصرين:

يقصد بالمقبولية موقف متلقي النص تجاه صورة من صور

اللغة؛ إذ يجب أن يتمتع كل نص بمقبولية من حيث الاتساق والانسجام. (دي بوجراند، 1998) ⁽¹⁸⁾ ويتحصل بذلك النفع للمتلقي باكتسابه معرفة جديدة، ومن ثم يستجيب لعوامل من مثل: نوع النص، والمقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبة الأهداف. (أبو غزالة وإلهام، 1999) ⁽¹⁹⁾ وقد بين هانز روبرت يانوس Hanz Rebert Jauiss في مقالة له نشرها عام 1969م بعنوان: **التغيير في نموذج الثقافة الأدبية** البواعث التي قادت إلى ظهور نظرية التلقي في ألمانيا. (محمد، 1999) ⁽²⁰⁾

أنواع القراءة ومستوياتها: ميّز تودورف Todorv بين ثلاثة أنواع من القراءة، وهي: القراءة الإسقاطية، والقراءة الشارحة، والقراءة الشعرية؛ فأما القراءة الإسقاطية فهي قراءة تقليدية لا تهتم بالنص بقدر اهتمامها بالمؤلف أو المجتمع؛ إذ تتخذ هذه القراءة من النص وثيقة شخصية أو اجتماعية أو تاريخية. أما قراءة الشرح فتتصب عنانيتها على النص، وتقف على ظاهره بشرح الكلمات عبر استبدالها بكلمات مرادفة للمعاني التي تدل عليها في النص. وأما القراءة الشعرية فهي قراءة عميقة للنص في ضوء سياقه الفني، وتتنظر هذه القراءة إلى النص على أنه كائن حي يتفاعل مع النصوص وينمو ويتطور؛ لذا فالقارئ في القراءة الشعرية يسعى إلى اكتشاف النص وفك شفرته؛ لأن في باطن النص ما هو أبعد من لفظه الحاضر. (محمد، 1999) ⁽²¹⁾

أنواع القراء: اهتم أصحاب نظرية التلقي بالقارئ بوصفه الطرف الثاني في العملية الإبداعية، وظهرت تبعاً لذلك أنواع عدّة للقراء؛ إذ غدا كل منهم يرسم صورة للقارئ تتماشى وفق ما ذهب إليه من منهج في قراءة النص وسبر غوره، وتفاصيل هذا كما يأتي:

القارئ الأعلى Super Reader أسس (ريفاتير) لهذا القارئ جاعلاً به وسطاً بين القارئ (المتوسط) الذي يتميز بالسطحية، والقارئ (المتفوق) الذي يجذب النص إلى ما يختزنه من معرفة ثقافية واسعة، فكان القارئ الأعلى وسطاً بين هذين القارئين. والقارئ الأعلى هو قارئ أسلوبية يعتمد على الدهشة وشدة الانتباه للانزياحات الأسلوبية التي تشد انتباهه، وتجعله يتوقف عندها في النص؛ وعليه فإن ثراء النص يقاس بكثرة التأثيرات الأسلوبية التي يثيرها النص في القارئ الأعلى، وبذلك فإن أحكام القيمة التي يصدرها القارئ الأعلى لها ما يسوغها في النص، فتلك الأحكام هي عبارة عن آثار تمخضت من المثيرات داخل النص. وعلى الرغم من انتقال (ريفاتير) إلى القارئ إلا أنه بقي تركيباً يتذبذب ما بين البنيوية والزام قارئه في حدود النص ومثيراته، وبين ذوق القارئ الذي قد يظهر أثناء استجابته لتلك المثيرات. (بوسماحة، 2006) ⁽²²⁾

يملك معارف نحوية ومخزونا تركيبيا، وهذه المعرفة التي يجب أن يتصف بها القارئ النموذجي يطلق عليها إيكو (الموسوعة القرائية). (بوسماحة، 2006) (27)

نظرية الاستقبال Reception Theory: أشار روبرت هولب Robert Holb إلى المقصود بمصطلح نظرية الاستقبال، فقال: "نظرية الاستقبال تشير إلى تحول عام من الكاتب والعمل إلى النص والقارئ". (سي هول، 1992) (28) وتتمثل التأثيرات التي أسهمت في بناء الأصول المعرفية لنظرية الاستقبال بخمسة تأثيرات، وهي: الشكالية الروسية، وظاهراتية رومان انجاردين، وبنوية براغ، وتأويلية هانز جورج غادامير، وسوسيولوجية الأدب. (سي هول، 1992) (29)

عند القدامى العرب

البلاغيون: أدرك البلاغيون القدامى دور المتلقي في العملية الإبداعية؛ فالمتلقي قسيم المبدع في عمله يشارك به مشاركة فاعلة تمنحه الحياة والتجدد، وفي ذلك يقول الجاحظ: "مدار الأمر على البيان والتبيين... والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل". (الجاحظ، 1998) (30) فالجاحظ يدرك ظاهرة التلقي، ويعي ما ينطوي على هذه الظاهرة من أثر في النص، ويتمثل ذلك بالعلاقة القائمة بين المرسل والمتلقي أو على حد تعبير الجاحظ بين المفهم والمتفهم في عملية تواصلية بينهما هي البيان والتبيين. ويرى ابن طباطبا أن مشاركة المتلقي هي التي تستفزه، وتخلق التفاعل بينه وبين النص، وتكون بمثابة البشرى له، ويقول في ذلك: "ومن أحسن المعاني والحكايات في الشعر وأشدّها استفزازاً لمن يستمعها ابتداءً بذكر ما يعلم السامع له إلى أيّ معنى يساق القول فيه قبل استتمامه وقبل توسط العبارة عنه. والتعريض الخفي الذي يكون بخفائه أبلغ في معناه من التصريح الظاهر الذي لا ستر دونه، فموقع هذين عند الفهم كموقع البشرى عند صاحبها، لثقة الفهم بحلاوة ما يرد عليه من معناهما". (ابن طباطبا، د. ت) (31)

ويذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن العلاقة التي تربط النص بالقارئ علاقة حوارية. (الجرجاني، 1998) (32)

ويؤكد الدور الذي يؤديه المتلقي قول حازم إن أحوال جمهور الناس والمتفرّعين لسماع الكلام حائمة حول ما ينعم أو يشجو. (القرطاجني، 1988) (33)

ومثال ذلك أنه "يروى أن الأقيشر دخل على عبد الملك بن مروان فذكر بيت نصيب:

أهيم بدع ما حييت وإن أمث

فواحرنا من ذا يهيم بها بغدي

فقال: والله لقد أساء قائل هذا البيت. فقال له عبد الملك:

القارئ المخبر Informed Reader: لا يهتم (فيش) في ضوء القارئ المخبر في المتوسط الإحصائي لردود فعل القراء بقدر اهتمامه بمعالجة النص من قبل القارئ، وهذه المعالجة تتطلب شروط يجب أن تُستوفى، وهي: أن تتحقق الكفاية عند القارئ المخبر باللغة التي كُتبت بها النص، وأن تتوافر لديه المعرفة الدلالية التي يتمتع بها المتلقي الناضج؛ لتحقيق مهمة الفهم، وأن تكون لديه الكفاية الأدبية. والكفاية التي يستلزم توفرها في القارئ المخبر يتبين بواسطتها النص، وهذا يتضمن ردود أفعاله التي تتوالى في الأوقات المناسبة أثناء قراءته مولدة معنى النص من البنية السطحية وصولاً إلى البنية العميقة، وورود الأفعال المتباينة عند القراء تنشأ عبر الاستراتيجيات المضللة في النص. (إيزر، 1995) (23)

القارئ المقصود Intended Reader: القارئ المقصود عند وولف هو قارئ تخيلي في النص لا يمثل تقاليد الجمهور المعاصر فقط، بل يجسد أيضا رغبة المؤلف بالارتباط بتلك المفاهيم أو وصفها أو العمل عليها. وعلى الرغم من أن المؤلف يكتب لقارئ مقصود بعينه أخذاً في الاعتبار الحالة الاجتماعية والظروف التاريخية المحيطة به، إلا أنه بعد مرور أجيال يستطيع القارئ أن يفهم معنى النص مستخلصاً صورة القارئ المقصود في زمن الكتابة، وهو بذلك يكون قادراً على إعادة بناء النص كاشفاً عن الاستعدادات التاريخية للقارئ المقصود الذي كتب له المؤلف. (إيزر، 1995) (24)

القارئ الضمني Implied Reader: يوضح إيزر مفهوم القارئ الضمني بأنه "بنية نصية تتوقع حضور متلق دون أن تحدده بالضرورة. إن هذا المفهوم يضع بنية مسبقة للدور الذي ينبغي أن يتبناه كل متلق على حدة". (إيزر، 1995) (25) ولا يمكن مطابقة القارئ الضمني مع أي قارئ حقيقي؛ فهو في ضمن المفهوم السابق جزء من تركيب النص له جذور أصيلة فيه. ويمثل القارئ الضمني الاستعدادات اللازمة الواجب توفرها في العمل الأدبي لكي يمارس تأثيره، وهذه الاستعدادات نابعة من النص نفسه، وليست موضوعاً من طرف خارجي. (إيزر، 1995) (26)

القارئ النموذجي Model Reader: يعدّ أمبيرتو إيكو مؤسس هذا النوع من القراء، إذ انصب اهتمامه على النص السرد، وافترض لنصه قارئاً نموذجياً متأصلاً في النص ومفترضاً من قبل الكاتب، فالنص عنده غير مكتمل ومعقّد بعض الأحيان، ومرجع هذا التعقيد إلى البنى الغائبة غير الظاهرة في البنى السطحية للنص؛ فيقع على عاتق القارئ النموذجي المشاركة التفسيرية؛ لذا فالقارئ النموذجي عند إيكو يتمتع بثروة لغوية هائلة، وفضلاً عن المعارف اللغوية، فإنه

فما كنت أنت قائلاً لو كنت مكانه؟ قال: كنت أقول:

تُحِبُّكَ نَفْسِي حَيَاتِي فَإِنْ أُمْتُ

أَوْكَلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهَيِّمُ بِهَا بَعْدِي

فقال عبد الملك: فأنت والله أسوأ قولاً، وأقل بصراً حين توكل بها بعدك! قيل: فما كنت أنت قائلاً يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أقول:

تُحِبُّكَ نَفْسِي حَيَاتِي فَإِنْ أُمْتُ

فَلا صَلَحْتُ دَعْدٌ لَدَى خِلَةٍ بَعْدِي. (المرزباني، 1995) (34)

وقد تكون المشاركة الإبداعية للمتلقى ليس فقط باقتراح ما يصلح الأدب من الألفاظ، بل يمكن أن تكون باقتراح موضوع الكلام، وتخيز مواضيعه. ومثاله ما ذهب إليه عبد الملك بن مروان في اقتراح مواضع الكلام في ثلاثة أبيات من الشعر، لو أن هذه الأبيات قيلت في غير ما قيلت فيه من مواضيع لكانت أجود. (المرزباني، 1995) (35)

أفق التوقع في التراث العربي

تزخر كتب الأدب والبلاغة بكثير من الأمثلة التي تدل على أن العرب القدامى خاضوا في مفهوم أفق التوقع عبر ما كانوا يتوقعونه للشعر استناداً إلى ما يتحصل عندهم من المعرفة الأولية لمعنى الأبيات؛ فتأتي الألفاظ مطابقة لصاحب القول وكأنهم في ضميره، مع أنهم لم يسبق أن سمعوه من قبل، وهذا التوقع الذي يتوصل إليه المتلقى يعود إلى المخزون الخبري المتحصل لديه، الأمر الذي جعله يستغل الألفاظ، ويوظفها في إكمال المعنى، حتى إنها تطابق ضمير الشاعر وألفاظه. ومثال ذلك ما جاء من استنشاد عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- عمر بن أبي ربيعة الشعر، فشرع ابن ربيعة ينشده، فقال:

تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا

وسكت، فقال ابن عباس:

وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

فقال عمر: كذلك قلت - أصلحك الله - أسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي. (الأصفهاني، 1952) (36)

الفهم: يسعى المتلقى إلى إيجاد وشيجة تربطه بالنص لتحقيق المقبولية، والوصول إلى الغاية من الكلام ألا وهي الفهم. وقد عبر البلاغيون عن المقبولية بالفهم، فالعلاقة التي تربط السامع والمتكلم (البيان والتبيين)، و(الفهم والإفهام)، كما يؤكد هذا الجاحظ، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾؛ (37) "لأن مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهم. وكلما كان اللسان أبين كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد". (الجاحظ، 1988) (38) وتحقيق التبيين والتفهم (المقبولية)،

يقتضي أولاً تحقق البيان والإفهام (القصدية) الذي أشرنا إليها في حديثنا عن مفاهيم القصدية في الفصل السالف، وهي كما يقول الجاحظ: "وإنما مدار الأمور والغاية التي يجري إليها، الفهم ثم الإفهام، والطلب ثم التثبت". (الجاحظ، 1998) (39)

ويرى ابن طباطبا أن الشعر يحتاج إلى متلقٍ ألمعي قادر على فهم النص الشعري وتذوقه؛ إذ يقول في عيار الشعر: "أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافٍ، وما مجّه ونفاه فهو ناقص". (ابن طباطبا، د.ت.) (40)

وبهذا تكن المقبولية عنصراً أساساً في النص، وذلك بما عبر عنه ابن طباطبا وأبو هلال العسكري بالفهم الثاقب.

طبقات المتلقين: يختلف المتلقون في أذواقهم وأحكامهم على النتاج الأدبي باختلاف ثقافتهم وعلمهم ومخزونهم الخبري، فليس سيان حكم العامة والسوقة على الأدب، وحكم الناقد الخبير البصير بجوهر الكلام وموضوعه. (الجرجاني، د.ت.) (41)

وعليه فالعقل هو الضابط في الكشف عن مخبوء النص من معانٍ دفيئة لا يصل إليها إلا العالم بفنون الأدب وتصاريفه، وبالعقل أيضاً يُكشف عن القيمة الفنية التي يبلورها النص للمتلقى، وهذا هو التفاعل الذي ينشأ بين المتلقى والنص، ويكون به التفاضل بين المتلقين. (الجرجاني، د.ت.) (42)

ويميز الجاحظ بين طبقات المستمعين بالخاصة والعامة؛ إذ يرى أن بلاغة الأديب ومقدرته الفنية تكمن في أن يلبس معاني الخاصة من الألفاظ ما يجعلها قريبة للعامة (الجاحظ، 1998). (43)

القارئ الأعلى عند ابن قتيبة: وفيما يأتي قصة من التراث العربي وقف عليها ابن قتيبة تبين لنا ملامح القارئ الأعلى فيه.

فمثاله ما جاء من تذاكر الرشيد والمفضل الضبي للشعر، فقال الرشيد للمفضل: "أذكر لي بيتاً جيد المعنى يحتاج إلى مقارعة الفكر في استخراج خبيئه ثم دعني وإياه. فقال له المفضل: أتعرف بيتاً أوله أعرابي في شملته، هاب من نومته، كأنما صدر عن ركب جرى في أجفانهم الوسن فركد، يستقرهم بعنجهية البدو، وتعجرف الشدو، وآخره مدني رقيق، قد غذى بماء العقيق؟ قال: لا أعرفه، قال: هو بيت جميل بن معمر:

أَلَا أَيُّهَا الرِّكَبُ النِّبَامُ أَلَا هَبُوا

ثُمَّ أَدْرِكْتَهُ رَقَّةَ الْمَشُوقِ؛ فقال:

أَسْأَلُكُمْ: هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلُ الْحُبَّ؟

قال: صدقت، فهل تعرف أنت الآن بيتاً أوله أكثم بن صيفي في أصالة الرأي ونبل العظة، وآخره إقراط في معرفته بالداء والدواء؟ قال المفضل: قد هَوّلت عليّ، فليت شعري بأيّ

بينما يذهب ابن جني إلى أن النحو: هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره. (ابن جني، د.ت.)⁽⁴⁹⁾

فالغزالي يرى أن النحو يحقق الفهم، أما ابن جني فيرى بأن النحو يحقق كيفية القول. ومنتهى الأمرين هو تحقق المقبولية اللغوية عند المتلقي.

وفي وجوب تحقق المقبولية النحوية في النص حتى يتحقق النظم الذي إليه الغاية وعليه المعول، يقول الجرجاني: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُهَجَّتْ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك، فلا تُخل بشيء منها". (الجرجاني، د.ت.)⁽⁵⁰⁾

ومن أمثلة عدم تحقق المقبولية الصرفية أنه "قل لنبطي: لم ابتعت هذه الأتان؟ قال: أركبها وتلد لي؛ فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها، ولا زاد فيها ولا نقص، ولكنه فتح المكسور حين قال وتلد لي، ولم يقل تلد لي (الجاحظ، 1998)⁽⁵¹⁾ فلى الرغم أن المعنى الذي أراده المتكلم قد وصل إلى المتلقي ألا أن المقبولية لم تتحقق عنده؛ لأنه خالف البناء الصرفي للكلمة."⁽⁵²⁾

منفعة السامع: لا شك في أن الغاية التي يقصدها المتكلم من كلامه هي إفهام السامع أو المتلقي المعنى، لذا فقد انصب عناية البلاغيين القدامى على هذه الغاية ومدى تحققها في النصوص؛ لأن بها تتحقق المقبولية لدى السامع. وقد تحدث البلاغيون عن الخصال التي يجب أن تتوفر في النص لتحقيق المنفعة للسامع. (الجاحظ، 1998)⁽⁵³⁾

ويرى الجاحظ أن تحقيق الفائدة المرجوة وهي فهم المتلقي، وتحقيق المقبولية عنده توجب على النص أن يتحلى بصفات، فقال: "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفسح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع". (الجاحظ، 1998)⁽⁵⁴⁾

العناية باستحسان السامع: يعد إظهار المعنى ووضوح الدلالة مرام المتكلم وغايته المنشودة غير أنه قد لا تتحقق المقبولية عند السامع بذلك فقط، فقد يصل المعنى للسامع بشكل واضح جلي، لكن هل نال النص إعجاب المتلقي واستحسانه؟ وهذا ما يبدو أن الجاحظ قد حرص عليه وشمله بعنايته، فالعلاقة بين إنتاج المبدع والمتلقي هي ما يجب أن تصرف إليه الأذهان، ويكون عليه مدار الاهتمام. (الجاحظ، 1998).⁽⁵⁵⁾

ونوه ابن طباطبا أيضا على ضرورة استحسان السامع للنص، فقال: "فَوَاجِبٌ عَلَى صَانِعِ الشَّعْرِ أَنْ يَصْنَعَهُ صَنَعَةً

مهر تفتتح عروس هذا الخدر؟ قال: بإصغائك وإنصافك، وهو قول الحسن بن هانئ:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ

وداويني بالتي كانت هي الداء". (ابن قتيبة، د.ت.)⁽⁴⁴⁾

في القصة السابقة نستشعر حضور القارئ الأعلى الذي تشده الأساليب اللغوية؛ فيتناولها متذوقا ما في الأبيات من جمال الأسلوب. ففي البيت الأول نجد أن المفضل الضبي يقف على ذلك الالتفات الأسلوبية الذي اشتمل عليه بيت جميل بثينة؛ إذ جمع فيه بين خشونة البدوي وغلظته، وبين رقة المدني ولطافته. أما في بيت أبي نواس الذي استرعى انتباه الرشيد، فقد جمع فيه الشاعر بين العارف بالحكمة وأصاله الرأي، وبين العارف بالطب والدواء.

القارئ المقصود عند الجاحظ: يتناول الجاحظ القارئ المقصود الذي تحدث عنه وولف whlof في معرض حديثه عن المعاني الشريفة والوضيعة؛ إذ يرى بأن المعنى لا يرتفع بأن يكون المقصود به خاصة الناس من أرباب الآداب والألباب، ولا ينحط وتتضع مكانته إذا أُريد به عامة الناس، بل يكون شرف المعنى وانحطاطه بقدر توافقه وملاءمته للقارئ المقصود الذي قصده صاحب النص. ويشترط الجاحظ لذلك شروطا. (الجاحظ، 1998)⁽⁴⁵⁾

الهيئة والمكانة: لقد بلغ من عناية العرب القدامى بالمتلقي أو السامع أن اعتنوا بهيئة المتكلم ومكانته لما لها من أثر بالغ الأهمية في استجابة المتلقي وتفاعله مع الكلام، وهذا يوشى بالعناية بالمتلقي بوصفه طرفا لا يستهان به في العملية الإبداعية؛ فهو جزء من النص وما ينصرح عنه من ردود أفعال يجب أن تكون محط اهتمام المتكلم، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما ذكره الجاحظ من حال أبي شمّر وهيئته في المنازعة. (الجاحظ، 1998)⁽⁴⁶⁾

وقد ذهب سهل بن هارون في حديثه عن هيئة الخطيب بأن الخطيب رث الهيئة دميمة الخلقة ينال من التفات المتلقين وعنايتهم ما لا يلقاه، الخطيب حسن الهيئة، بهي الطلعة، شريف النسب، إذا تساوى في الفصاحة والبيان. (الجاحظ، 1998)⁽⁴⁷⁾

المقبولية اللغوية: عند الحديث عن مقبولية النص فمن البديهي أن تتحقق الصحة اللغوية في النص أولا، وعندما نقول الصحة اللغوية؛ فهذا يعني أن يحقق النص المقبولية من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية؛ لأن وجود أخطاء لغوية في النص يسبب النفور والاستهجان عند المتلقي، ويجعله ينصرف عن المغزى الذي يقصده المتكلم من النص إلى الوقوف على تلك الأخطاء. (الغزالي، 1993)⁽⁴⁸⁾

أن ههنا نظمًا وترتيبًا، وتأليفًا وتركيبًا، وصياغةً وتصويرًا، ونسجًا وتخييرًا، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجازٌ فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقةٌ فيها". (الجرجاني، 2005)⁽⁶²⁾ فالجرجاني احتاج إلى وجهة النظر الجوالّة، وتعدّد القراءات لأقول العلماء في معاني (الفصاحة)، و (البلاغة)، و (البيان)، و (البراعة)، لما انطوت عليه أقولهم تلك من الإشارات الخفية التي تحتاج إلى القارئ الحصيف الذي يدقّق النظر، ويمحص الأقوال؛ لاستخراج الدفين من معاني تلك العبارات.

وتتطلب القراءة الواعية من القارئ أن يكون خبيرًا ومزودًا بالأدوات الناجعة التي تعينه على الغوص في أعماق النص واستخراج معانيه الدفينة، وهذه العملية لا تتأتّى للقارئ من قراءة واحدة، فعين القارئ الخبير الذي يبحث عن مخبوء النص من معاني يحتاج إلى قراءات عدة، ومن يقف على التراث العربي يجد أن القدامى العرب تحدّثوا عن هذا المعنى بما يعرف بـ (المعاني الثواني) عند ابن حازم القرطاجني.

تحليل مفاهيم المقبولية عند الجاحظ في البيان والتبيين

النص الأول: إباب اللغز في الجواب

ذُكر أن خالد بن الوليد لما فتح الحيرة قال لأهلها: "أخرجوا إليّ رجلاً من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور. فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن بُقيلة العسّاني. (الزركلي، 2000)⁽⁶³⁾، وهو الذي بنى القصر، وهو يومئذ ابن خمسين وثلاثمائة سنة، فقال له خالد: من أين أقصى أثرك؟ قال: من صُلب أبي. قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي. قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض. قال: فقيم أنت؟ قال: في ثيابي. قال: ما سنك؟ قال: عظّم. قال: أنْعَقِل، لا عَقَلْت؟ قال: إيّ والله وأقيد. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد. قال: كم أتى عليك من الدهر؟ قال: لو أتى علي شيء لقتلني. قال: ما تزيدني مسألتك إلا غمّي. قال: ما أجبتك إلا عن مسألتك. قال: أعرب أنتم أم نبط؟ قال: عربّ استنبطنا، ونبط استعربنا. قال: فحرب أنتم أم سلم؟ قال: سلم. قال: فما بال هذه الحصون؟ قال: بنياناها للسقيّة حتّى يجيء الحليم فينهاه. قال: كم أتت عليك سنة؟ قال: خمسون وثلاثمائة. قال: ما أدركت؟ قال: أدركت سفن البحر ثرّفاً إلينا في هذا الجُرف، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مِكتَلها على رأسها ولا تتزوّد إلا رغيّاً واحداً، فلا تزال في قُرى مُخَصّبة متواترة حتّى تردّ الشام، ثم قد أصبَحَتْ خراباً يباباً، وذلك دأب الله في العباد والبلاد. (الجاحظ، 1998).⁽⁶⁴⁾

موقف المتلقي: لم يسفر الحوار الذي أجراه خالد بن الوليد

متقنة لطيفة مقبولة مُستَحْسنة مُجَنَّبَة لمحبة السامع له والناظر بعقله إليه، مُستَدْعِيَة لعشق المتأمل في محاسنه والمُتَفَرِّس في بدائعه". (ابن طباطبا، د.ت.)⁽⁵⁶⁾

نشاط القارئ: حرص الجاحظ على إبقاء قارئه متواصلاً معه لا يطاله السأم ولا يتسلل إلى قلبه الملل. (الجاحظ، 1998)⁽⁵⁷⁾ والأسلوب الذي اتخذه الجاحظ لتحقيق هذه الغاية هو التنويع والانتقال من موضوع إلى آخر، لكن هذا التنوع والتقلّب يجب أن يبقى في الإطار الذي يعالجه الفن المطروح للدرس؛ فينتسب بطريقة أو بأخرى إلى الموضوع الرئيس.

وقد ظهرت هذه الاستراتيجية عند الجاحظ جلية في البيان والتبيين ومن ذلك ما نبّه القارئ عليه في ذكر بقية نواذر النوكى والمجانين وجفاة الأعراب. (الجاحظ، 1998)⁽⁵⁸⁾ والأمثلة التي ساقها الجاحظ على نشاط الاستماع عند المتلقي ما كان من جارية ابن السماك؛ إذ "جعل ابن السماك يوماً يتكلم، وجارية له حيث تسمع كلامه، فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنك تكثر ترداده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه". (الجاحظ، 1998)⁽⁵⁹⁾

السياق: أدرك البلاغيون دور السياق في إصابة المعنى؛ فاشتروا لذلك مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو من ضمن حد البلاغة، وقد عبر إليه الجاحظ عن السياق بمفهوم المقام عندما تحدّث عن شروط اللفظ والمعنى، وتلازمهما في تحقيق الدلالة، فقال: "إذا أعطيت كلّ مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو". (الجاحظ، 1998)⁽⁶⁰⁾ ويعرض الخطيب القزويني للحديث عن سياق الموقف، فيقول: أمّا بلاغة المتكلم فهي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها، ومقتضى الحال مختلف. (القزويني، د.ت.)⁽⁶¹⁾

تعدد القراءات: تناول إيرز فولغانغ ما يعرف بوجهة النظر الجوالّة - كما سبق الحديث عنها في المبحث الأول من هذا الفصل - وقصد بهذا المصطلح أن القارئ لا يمكن أن يتوصل إلى معنى النص دفعة واحدة، بل يحتاج القارئ إلى مراحل متعاقبة من القراءات حتى يصل إلى كنه النص ومغزاه، وفي هذا المعنى يذهب الجرجاني، فيقول: "ولم أزل منذ خدّمتُ العِلْمَ أنظرُ فيما قاله العلماء في معنى (الفصاحة)، و (البلاغة)، و (البيان)، و (البراعة)، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجدُ بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيّ ليُطلَب، وموضع الدفين ليُبحث عنه فيُخرج، وكما يُفَتَحُ لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضّع لك القاعدة لتنبّي عليها. ووجدتُ المعوّل على

يعود سبب اهتمام خالد بن الوليد بسنّ عبد المسيح لشيء مرتبط بهيئة عبد المسيح الذي ظهر بصورة رجل طاعن في السن، فأثار معرفة عمره فضول خالد بن الوليد. ولما رأى خالد استجابة من عبد المسيح في سؤاله عن الحصون عاد ليسأل عن عمره مرة أخرى.

في ضوء ما سبق نلاحظ أن المقبولية ترتفع إذا كان هناك رغبة من قبل المتلقي في التواصل مع الطرف الآخر (منشئ النص)؛ فرغبة المتلقي في المشاركة في الخطاب تجعله يتفاعل مع النص، ويتجاوب مع معطياته، فالمتلقي الأول (عبد المسيح) كان متلقياً مغلقاً؛ إذ كان موقفه سلبياً من الخطاب الذي دار بينه وبين خالد بن الوليد τ ، وخير دليل على هذا الموقف السلبي أن نسبة المقبولية (وهي اختلاف وجهات نظر المتلقين تجاه النص) تكاد تكون معدومة؛ لأن دلالات الأسئلة ومقصديتها في إطارها الثقافي والاجتماعي لا يمكن أن تحتل وجهات نظر مختلفة، فعلى سبيل المثال سؤال خالد بن الوليد عبد المسيح: ما سنك؟ لا يمكن أن يكون هناك نسبة في مقبولة هذا السؤال؛ فلا تختلف الإجابات عنه باختلاف وجهات نظر المتلقين؛ لأن المقصود من ورائه واضح معلوم تحكمه الخلفية الثقافية والاجتماعية، لكن جاءت الإجابة عن هذا السؤال: ما سنك؟ وإجابته: عظم. وهي إجابة خارج السياق الثقافي والاجتماعي للسؤال، لكنها تدخل ضمن الإمكانيات اللغوية، وبهذا تكون نسبة المقبولية ظهرت في الجانب اللغوي، ومنشأ وجهة النظر هذه في فهم الخطاب ليس التفاعل مع الخطاب، بل عدم الرغبة في التفاعل معه. فالإجابة (عظم) تعكس سلبية المتلقي في التفاعل مع الخطاب من جهة، ومقدرته على المراوغة في الإجابة بما هو معقول، وقد قصد بكلمة (عظم) المعنى الحقيقي أن السن من العظم، وهو يقصد بذلك الغموض حتى لا تصل الفائدة إلى المتلقي.

أما موقف المتلقي الثاني (خالد بن الوليد) τ فقد امتاز بالإيجابية، وظهر ذلك عبر الأسئلة المختلفة عن شيء واحد؛ لأن إجابات الأسئلة وإن كانت معقولة من الناحية اللغوية إلا أنها لا تجيب عن استفساراته، ولا تصل إلى مقاصده؛ لذا نراه ينوع في الأسئلة: ما سنك؟ ابن كم أنت؟ كم أتى عليك من الدهر؟ وهذا يدل على إيجابية في التعامل مع الخطاب من طرفه بوصفه متلقياً ثانياً، فهو يسعى إلى إيصال مقصوده وتحقيق المقبولية عنده بتحقيق المقبولية عند الطرف الآخر.

بناء السياق: يمثل السياق الوشائج التي تربط النص بالعناصر المكوّنة له؛ فلا تقتصر على الجمل المتتابعة داخل إطار النص فحسب، بل تشتمل على الجانب التواصلية للنص، فتكون وظيفة المرسل والمستقبل أطراف المعادلة في الاتصال

τ مع عبد المسيح بن عمرو، عن اتصال ناجح بين الطرفين؛ لأن المتلقي لم تتوافر لديه القدرة على تحري المعنى للوصول إلى إجابات لأسئلته، وكان على المرسل (عبد المسيح بن عمرو) أن يجيب بإجابات توفّر لدى المتلقي استجابة تتحقق بها المقبولية، لكن هذه الرغبة لم تكن متوافرة عنده؛ لأنه لا يريد الإجابة فألغز فيها، حتى لا يستطيع المتلقي الوصول إلى ثمرة المعنى. وسعى المتكلم إلى إفهام المتلقي مقصوده عبر أسئلة مختلفة لمقصود واحد، وهو السؤال عن عمر المتلقي، وتمثل ذلك في الأسئلة الآتية:

ما سنك؟

ابن كم أنت؟

كم أتى عليك من الدهر؟

والمقصود من هذه الأسئلة فقط إفهام المتلقي أن المتكلم يسأله عن سنوات عمره، لكن إجابات المتلقي، كانت لا تحقق المراد من السؤال، ولا تروي ظمأ المتكلم، الأمر الذي دفع خالد بن الوليد τ إلى أن يقول: ما تزيدني مسألتك إلا غمّي، وما كان ردّ المتلقي (عبد المسيح) إلا أن قال: ما أجبتك إلا عن مسألتك، وهو بذلك يقف موقفاً سلبياً لمقصود الخطاب.

ولكن نشهد هناك تحولا في موقف المتلقي (عبد المسيح) بوصفه متلقياً أولياً، وذلك عندما يجيب عن مقصود المتكلم، فيحقق المقبولية عند خالد بن الوليد τ بوصفه متلقياً ثانياً، واستجابة المتلقي الأول (عبد المسيح) ظهرت عندما حصلت نقلة نوعية في أسئلة خالد بن الوليد τ له، فبعد أن كانت الأسئلة متعلقة بأصل المتكلم (عبد المسيح) وعمره، انتقل السائل إلى السؤال عن الحرب والسلام، وسبب بناء الحصون، فأجاب المتلقي الأول (عبد المسيح) عنها بإجابات حققت المقبولية عند (خالد بن الوليد) τ بوصفه متلقياً ثانياً، وهنا عاد خالد بن الوليد τ إلى السؤال عن سنّ عبد المسيح، لكن هذه المرة بصيغة مختلفة؛ لأن الصبغ السابقة لم تحقق المقبولية عند عبد المسيح المتلقي الأول، فكان السؤال: كم أنت عليك سنّة؟ فجاءت الإجابة: خمسون وثلاثمائة، الأمر الذي حقق المقبولية عند خالد بن الوليد المتلقي الثاني. ويبدو أن معرفة سنّ عبد المسيح كان يشكل فضولاً عند خالد بن الوليد فقد سأل عنه بأربعة أسئلة؛ ثلاثة منها لم تحقق إجاباتها المقبولية عنده، وهي:

ما سنك؟

ابن كم أنت؟

كم أتى عليك من الدهر؟

ولكن عندما حدث تحول في موقف المتلقي، فأجاب عن أسئلة خالد بما حقق المقبولية عنده، عاد ليسأله عن سنّه. وقد

التي تقوم على استقبال النص، وإعادة بناءه؛ وعليه يكون النص مفتوحاً على السياقات التواصلية؛ إذ تتابع فيها الجمل في النص وفق نظام يدير دفته السياق. وحول تحديد السياق لدلالة هذه الظواهر، يقول (فندريس): "الذي يعيّن قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق، إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جوّ يحدد معناها تحديداً مؤقتاً. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدلّ عليها". (فندريس، 1950)⁽⁶⁵⁾

وفي ضوء ما سبق؛ فإن السياق الذي دار فيه الحوار بين خالد بن الوليد، وعبد المسيح بن عمرو، كان سياق استفسار واستقصاء عن حال المتكلم أولاً، وهو ديدن العرب في السؤال والفنّش، فهم يسألون عن النسب والقبيلة والمكان والصفة وغيرها. لكن خالد بن الوليد اصطدم بإجابات كانت خارج السياق. فسؤاله: من أين أقصى أترك؟ يقصد به السؤال عن أصله ونسبه، لكن الإجابة كانت: من صلب أبي. وسؤاله: من أين خرجت؟ فردّ: من بطن أمي. وليس هذا يريد فهو يريد أصله ومنبعه، وأما سؤاله: فقيم أنت؟ فيقصد به حالته وصفته، لكن ردّه كان: في ثيابي.

وهذه الإجابات لا تتسجم مع السياق الذي يدور في إطار تعرف خالد بن الوليد إلى عبد المسيح؛ إذ حمل المتلقي الكلام على غير ما يقتضيه السياق من الإجابة؛ إذ جاءت إجابات عبد المسيح خارج سياقات الأسئلة التي سألها خالد بن الوليد له؛ لذا لم تتحقق المقبولية عنده، ولم تتجج عملية الاتصال اللغوي بين المرسل والمتلقي.

وعندما يكون الكلام خارج سياقاته يظهر كأنه عبارة عن أصوات وجمل متتابعة غير مفهومة، وهذا الأمر دفع خالد بن الوليد إلى اتهام عبد المسيح بالجنون مرة، حين قال له: أتعلّ، لا عقلت؟ والشك بعربيته مرة أخرى، حين قال له: أعرب أنتم أم نَبَط؟ والنَّبَط نسبة إلى النَبَط، وهم قوم من العجم، (السمعاني، 1962)⁽⁶⁶⁾ والنَّبَطُ والنَّبِيطُ والنَّسَبُ إليهم: نَبَطِيٌّ، وهم قومٌ ينزلون سَوَادَ العراق. (الفرايدي، د.ت.)⁽⁶⁷⁾

وكان للسياق الذي دار فيه الحوار بين خالد بن الوليد وعبد المسيح له أثر كبير في السلبية التي اتصف بها المتلقي الأول (عبد المسيح)؛ فقد جاءت أسئلة خالد بن الوليد في سياق قائد عسكري يوجه أسئلة ليحصل على معلومات عن البلاد التي فتحها وهي العراق. فقد روي أن خالد بن الوليد لما نزل الحيرة وتحصن منه أهلها أرسل إليهم ابعثوا إلي رجلاً من عقلائكم وذوي أنسابكم؛ فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بقليلة فأقبل يمشي حتى دنا من خالد، فقال: أنعم صباحاً أيها الملك قال قد

أغنانا الله عن تحينك فمن أين أقصى أترك أيها الشيخ، قال: من ظهر أبي. وهذا الجواب أثر في عبد المسيح فأحس من عدم ردّ خالد على تحيته بعدم تقدير الأمر الذي قد يكون سبباً في سلبية عبد المسيح في ردّه على خالد فيما بعد. فكأن عبد المسيح لم يصل إلى راحة نفسية تدعوه إلى الإجابة المنطقية عن أسئلة خالد إلا بعد أن اقتصر لنفسه وأغاظ خالدًا، فكانت واحدة بواحدة ليبدأ بعدها حوارًا يحقق المقبولية سؤالاً وجواباً. وهذا السياق دفع عبد المسيح إلى الإلغاز في الجواب، فهو لا يريد إعطاء معلومات لخالد بن الوليد τ بوصفه قائداً عسكرياً، لكنه لم يقل ذلك صراحة، بل أجاب بإجابات غير معقولة حتى يملّه ويترك سؤاله دون الحصول على مبتغاه من السؤال، فضلاً عن أن عبد المسيح هو سيد في قومه، وتجاوبه مع خالد بن الوليد τ يضعه موضع الشخص الخاضع الخائف أمام قومه، وهو لا يريد أن يظهر بذلك المظهر المذل؛ لذا نرى بأن أجوبته كانت مستفزة لخالد بن الوليد τ ونلمح ذلك في قول خالد له: "أتعلّ، لا عقلت؟" فجاء جواب عبد المسيح: "إي والله وأقيّد".

اتساع الدلالات: يُعدُّ حمل المعنى الحقيقي على المجازي من الوسائل التي توسع فيها اللغة دلالاتها، فالمجاز لفظ عُدل به عن أصله اللغوي الذي وضع من أجله لتأدية معنى آخر، وإمّا تشبيهاً إمّا لصلة وملابسة بينهما. (الجرجاني، د.ت.)⁽⁶⁸⁾ والمجاز هو سمت للعربية، يُخرج فيه المتكلم دلالات الألفاظ على المعاني المحسوسة إلى المعاني غير المحسوسة؛ لتأدية معنى معين.

وفي القصة السابقة يقف عبد المسيح من خالد بن الوليد τ موقف المتلقي السلبي، فخالد بن الوليد يسأله، وهو يحمل أسئلته على الحقيقة لا على المجاز، في حين كان عليه بوصفه متلقياً حمل معاني الأسئلة على المجاز، ولكن ما الشيء الذي يوجب على المتلقي (عبد المسيح) حمل المعاني على المجاز لا على الحقيقة؟

وجواب هذا السؤال هو: معهود العرب في تلقي الخطاب، فالعرب حين تسأل. ما سنك؟ فليس المقصود من أي شيء هو سنك، بل المقصود السؤال عن العمر، لكن كان ردّ المتلقي: عظم؛ لذا ردّ عليه خالد بن الوليد: أتعلّ، لا عقلت؟ فقد شكّ خالد في عقله، لأنه يخالف ما اعتاد عليه العرب من تلقي الخطاب، فجاء ردّ عبد المسيح: إي والله، وأقيّد. فحمل اللفظ على المعنى الحقيقي، وهو من عقل البعير إذا ربط قوائمه، وهذا المعنى الحقيقي حُمِلَ عليه عقل الإنسان لما بينهما من مشابهة من الحبس والمنع؛ فالعاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، وقيل سُمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه

أي يحبس عن التورط بالمهالك. (الأزهري، 2001)⁽⁶⁹⁾

وكذلك سؤال خالد لعبد المسيح: ابن كم أنت؟ فمعهود العرب في الخطاب في هذا السؤال هو: السؤال عن عدد السنوات التي عاشها المتلقي، غير أن جواب المتلقي (ابن رجل واحد)، فهذا ليس مقصود السائل، لأنه لا يفيد في العلم شيئاً، فهو بالضرورة ابن رجل واحد. ومثله سؤاله: كم أتى عليك من الدهر؟ فالمقصود كم عشت من سنوات، وليس أتى عليك بمعنى أتى عليك: أهلكك وقضى عليك.

فلما كانت أجوبة عبد المسيح (المتلقي) تخالف معهود العرب في تلقي الخطاب شكاً خالد بن الوليد في عربيته؛ فقال له: أعرب أنتم أم نبط؟ لأن المتلقي لا يقتفي ديدن العرب في فهم الكلام؛ فهو يفهم الكلام على معناه الحقيقي، وهذا شأن من لم يكن له نصيب من ثقافة اللغة وإنما تعلمها وفي أصله ليس عربياً.

النص الثاني: إباب ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأنبياء وذكر قبائلهم وأسابهم

ذكر أن رجلاً سئل عن رجل، فقال: "إن له شرفاً وبيتاً وقدماً. فنظروا فإذا هو ساقط من السفلة. فقيل له في ذلك، فقال: ما كذبت شرفه أدناه، وقدمه التي يمشي عليها، ولا بد من أن يكون له بيت يأوي إليه.

قال أبو إسحاق، (الإسفاريني، 1977)⁽⁷⁰⁾: "قد لعمرى كذب، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حُرمته عن رجل، فقال: "هو يبيع الدواب". فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع السنانير، فلما سئل عن ذلك قال: ما كذبت؛ لأن السُنَّور دابة.

قال أبو اسحق: بل لعمرى لقد كذب، هذا مثل قول القائل حين سئل عن رجل في تزويج امرأة، فقال: "رزين المجلس نافذ الطعنة". فحسبوه سيئاً فارساً، فنظروا فوجدوه خياطاً! فسئل عن ذلك، فقال: ما كذبت؛ إنه لطويل الجلوس، جيد الطعن بالإبرة فقال أبو اسحق: بل لعمرى لقد كذب؛ لأنه قد غرهم منه. وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يُسلفه مالاً عظيماً، فقال: "هو يملك مالاً كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف". فلما بايعه الرجل وجدته مُعْدماً ضعيف الحيلة، فلما قيل له في ذلك قال: ما كذبت؛ لأنه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه. حتى عد جميع أعضائه وجوارحه". (الجاحظ، 1998)⁽⁷¹⁾

موقف المتلقي: نلاحظ أن المتلقي في النص السابق وقع في اللبس والغلط وسوء الفهم نتيجة تلاعب المتكلم بدلالات الألفاظ؛ إذ نجد في المواقف المختلفة التي لجأ فيها للسؤال عن رجل معين، وقصد بهذه الأسئلة الكشف عن حاله حتى يستطيع أن يأخذ منه موقفاً، غير أنه فوجئ بأن الإجابات التي

تحصل عليها لم تحقق المقبولية عنده؛ لأنها جاءت غير مطابقة للوقائع والحقائق التي توصل إليها فيما بعد؛ ففي الموقف الأول يسأل المتلقي عن حال رجل وتأتي الإجابة على حد تعبير المتكلم: "إن له شرفاً وبيتاً وقدماً"، وهذا القول يقتضي أن يكون ذلك الرجل ذا حسبٍ ونسبٍ وسيادةٍ وشرفٍ، لكن بعد البحث والتحصيل في حاله وجد أنه رجل وضع من السفلة الأمر الذي لم يحقق المقبولية عند المتلقي الذي عاد ليراجع المتكلم في المعلومة التي قالها له والتي تخالف الحقيقة، فكان ردّه أنه لم يقصد ما فهمه المتلقي من علو منزلة الرجل، وإثبات السيادة والشرف له، بل أراد أن يبين أن له أدنين وقدماً وبيتاً، الأمر الذي دفع أبا إسحاق إلى اتهامه بالكذب؛ لأنه خالف معهود العرب في الخطاب وهو ما فهمه المتلقي ابتداءً؛ وبذلك لم تتحقق المقبولية عند المتلقي؛ لأنه من الطبيعي أن صاحب الشرف والبيت والقدم في الدلالة المركزية تعني المكانة الرفيعة في المجتمع، والغنى الواسع، لكن الواقع غير ذلك. وهذا من ثم يبين لنا أهمية المقبولية في فهم الخطاب، وأن المقصود بالدلالة الهامشية هي موقف المتلقي، وعدم قبوله لهذه الدلالة الهامشية التي تقع ضمن مفهوم المقبولية. أما في الموقف الثاني فقد كان السؤال عن حال رجل أراد الزواج ويبدو بأنه قصد من السؤال عمله، فجاء جواب المتكلم بأنه: "يبيع الدواب"، وفهم المتلقي من ذلك أن الرجل تاجر دواب، وهذه اللفظة في الاستعمال قصد بها أنه يبيع الدواب التي يستعملها الناس للركوب، لكنهم في المقابل وجدوه يبيع السنانير؛ أي القطط، الأمر الذي لم يحقق المقبولية عند المتلقي الذي عاد لسؤال المتكلم عن الخبر الذي قدمه له، فأجابه بأنه قصد من كلمة (الدواب) معناها عام، وهذا خداع وتغريب بالمتلقي الذي فهم المعنى في ضوء الاستعمال الخاص لها، مما جعله يتخذ موقفاً من النص، واتهام المتكلم بالكذب؛ لأنه ذكر في نصه الدلالة العامة للفظ (الدواب) التي قبلها المتلقي آنياً، وعند التحقق من حقيقة هذا التصريح اتخذ المتلقي موقفاً من النص، وعدّ صاحبه كاذباً، عندما كان مقصوده السنانير، أي القطط، ولم يوصل هذا المقصود إلى المتلقي الذي تفاعل مع النص فلم يجد لديه قبولاً، بسبب تلاعبه بدلالات الألفاظ.

وفي الموقف الثالث حين سئل المتكلم عن رجل أراد الزواج فردّ بقوله: "رزين المجلس نافذ الطعنة"، فكان المعنى المتحصل عند المتلقي أن الرجل سيد موقر في مجلسه، وفارس يجيد الطعن بالسيف، لكنه في حقيقة الأمر كان خياطاً، الأمر الذي لم يحقق المقبولية عند المتلقي مما جعله يسأل المتكلم، ويراجعه في صدق ما قاله، فما كان منه إلا أن اعتذر له، ثم صرّح عن مقصوده بأنه أراد بالرزانة إطالة الجلوس، وبالطعن

المشرفة، ومنه ناقة شرفاء وشرافية إذا كانت ضخمة الأذنين جسيمة، وضبُّ شُرَافِيٍّ كذلك، ويَرْبُوعٌ شُرَافِيٌّ. (ابن منظور، 1994) (74). فالجامع بين المعاني اللغوية وفق ما أوردته المعاجم أن مادة (شرف) بمجملها تدل على البروز والعلو على الحقيقة. وأما المعنى المجازي للكلمة فالشرف يعني: الحسب بالأبَاء، والرجل الشريف والرجل الماجد هو الذي له آباء متقدمون في الشرف، (الزبيدي، 1965) (75) وهذا يدل على الرفعة والعلو على المجاز. فقد انتقل المتكلم من المعنى المجازي الذي فهمه المتلقي في ضوء معهود العرب في الخطاب؛ وهو أن لهذا الرجل منزلة رفيعة ومكانة عالية في الحسب والمجد إلى المعنى الحقيقي وهو (أن للرجل شرفاً) وهو ما برز من جسده، وهما أذناه وليس هذا المراد من السؤال؛ لأنه من المعروف بالضرورة أن لهذا الرجل أذنين. وأما ما فهمه المتلقي من قوله: إن له بيتاً، فهو الشرف الرفيع، فبيت العرب : شرفها. ويقال : بيت تميم في بني حنظلة أي شرفها، وفيما قاله العباس بن عبد المطلب في مدح الرسول p:

حَتَّى اِحتَوَى بَيْتُكَ المَهِيمُ مِنْ

خُذِفَ عُلْيَاءُ تَحْتَهَا النُّطْقُ

وقصد ببيتته شرفه العالي. (الأزهري، 2001) (76) وأما المعنى اللغوي الذي قصده المتكلم، واحتال به على المتلقي، وأوقعه باللبس فهو كما جاء في المعاجم اللغوية. بيت الرجل داره، وبيته قصره. (الزبيدي، 1965) (77) وقوله إن له قدماً فقد فهم المتلقي أن له سابقة في الخير وقدماً. فقد قيل: "رجل قدم وامرأة قدمة يعني أن لهما قدم صدق في الخير، قيل : وقدم الصدق المنزلة الرفيعة والسابقة، والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير". (ابن منظور، 1994) (78) وأما المتكلم فقد احتال بالمعنى الحقيقي لكلمة (قدم) وهي العضو من الإنسان التي يمشي بها.

وبهذا فقد حاد المتكلم في الإجابات السالفة عن معهود العرب في الخطاب والتي كان يقتضي أن يفهم المتلقي من كلامه المعنى المجازي إلا أنه خدع المتلقي بتلاعبه بمعاني الألفاظ. فضلاً عن أن المعاني الحقيقية غير مقصودة؛ لأنها معروفة بالضرورة، ففعله إنه يقصد بالشرف الأذنان، والقدم التي يمشي بها الرجل، والبيت الذي يأوي إليه هذه الأوصاف مما يتساوى به الناس وتطبق على كل إنسان، فالإخبار عنها لا يفيد في العلم شيئاً.

وأما من سأله بعضهم عن رجل أراد تزويج حُرْمته، فقال: "هو يبيع الدواب". لكنهم لما نظروا في حاله وجدوه يبيع السنانير، ولما سُئِلَ عن ذلك اعتذر بقوله بأن السنانير دابة. فالتكلم في هذا الجواب اعتمد في ألغازه على الدلالة

طعن الإبرة وليس طعن السيف في المعارك والحروب. وهذا الاعتذار لم يحقق المقبولية عند المتلقي الذي وصف المتكلم بالكذب والخداع وتفاعل مع النص، ومع المتكلم بعدم مقبوليته للنص؛ لأنه لو كان المتكلم صادقاً معه لقال له: إن الرجل خباط، غير أن المتكلم تقصّد أن يُشكِلَ على المتلقي حتى يوقعه في سوء الفهم.

وأما موقف المتلقي في الموقف الرابع والأخير فلم يكن بأحسن حالٍ من سابقه؛ إذ سأل المتكلم عن رجل يريد أن يبيعه فأوهمه المتكلم بأن هذا الرجل عنده مال كثير بقوله: "هو يملك ما لا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف"، وهذا الجواب يعكس المقدرة المالية لذلك الرجل التي تمكنه من البيع والشراء، لكن المتلقي لم تتحقق عنده المقبولية عندما عرف بأن هذا الرجل معدم، وكان ردُّ المتكلم أنه لم يكذب وأن الرجل يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه وجميع جوارحه التي لا تقدر بمال.

نلاحظ من المواقف الأربعة السابقة أن المتكلم لم يحقق المقبولية عند المتلقي؛ إذ لم تتطابق إجابات الأسئلة مع ما انصرف إليه فهم المتلقي؛ والسبب في ذلك أن المتكلم خالف معهود العرب في الخطاب، فجاءت المعاني الظاهرة من الألفاظ لا تتوافق مع مقاصده من الكلام فقد كانت الكلمات عبارة عن رموز لمعانٍ موجودة فقط في ذهن المتكلم لا يبنى عنها الكلام المفوظ؛ فكان المتلقي بذلك ضحية لمواربة المتكلم في الجواب.

اتساع الدلالات: تلاعب المتكلم بدلالات الألفاظ معتمداً على الاتساع الدلالي الذي يوفره المعنى المجازي لتلك الألفاظ؛ وذلك بالانتقال من المعاني المجازية إلى المعاني الحقيقية، وهذا الأمر من شأنه أن يحدث خطأ عند المتلقي. فالمرسل في الإجابات التي وردت في النص السابق قصد المعنى الحقيقي لدلالات الألفاظ بينما انصرف فهم المتلقي إلى أنه يعني المعنى المجازي، والسبب في هذا الانصراف هو أن معهود العرب في الخطاب يقتضي أن يكون المعنى مجازياً وهو المنشود فضلاً عن أن إجابات الأسئلة لا تصلح أن تكون معاني حقيقية لها، لكن المتكلم احتال في الإجابات وألغز فيها حتى يوقع المتلقي في اللبس، متكئاً على الاتساع الدلالي. فقال عندما سُئِلَ عن رجل: "إن له شرفاً وبيتاً وقدماً"، غير أن القوم نظروا في حال ذلك الرجل فوجدوه رجلاً ساقطاً وضيعاً، واعتذر عن قوله هذا بأنه يقصد بأن شرفه أذناه، وهذا هو المعنى الحقيقي للفظ، فقد جاء في لسان العرب: "الشرف كل نشر من الأرض قد أشرف على ما حوله"، (ابن منظور، 1994) (72) وقال الجوهري: "الشرف العلو والمكان العالي"، (الجوهري، 1987) (73) "وأذن شرفاء وشرافية؛ هي الطويلة القائمة

الفارس الشديد الذي اعتاد خوض المعارك وملاقة الأعداء. لكن من نظر في حال الرجل لم يجده فارساً بل هو خياط، واعتاد المتكلم عن هذا اللبس الذي وقع فيه المتلقي بأنه قصد بالطنع في قوله: "نافذ الطعنة"، فالطنع بالإبر وليس الطعن بالسيوف والرماح، وجعل المتكلم الطعن للإبرة والغرز عادة يكون للإبرة، لكنه استعمل هذا الفعل حتى يلغز في الكلام، فاستعار لفظة الطعن لإبرة لما فيه من دلالة الدخول؛ لأن الطعن يعني الدخول في الشيء. (الفراهيدي، د.ت) (86)

تطبيقات المقبولية على نص شعري معاصر

تَجْلِيَةُ المقبولية في أشودة المطر لبدر شاعر السيّاب (السياب، 1987) (87)

- عَيْنَاكَ غَابَتَا نَخِيلَ سَاعَةِ السَّحَرِ .
أَوْ شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأَى عَنْهُمَا الْقَمَرُ .
عَيْنَاكَ حِينَ تَبْسُمَانِ تُورِقُ الْكُرُومُ .
وَتَرْفُصُ الْأَصْنَؤَاءُ ... كَالْأَقْمَارِ فِي نَهْرٍ .
يَرْجُهُ الْمَجْدَافُ وَهَذَا سَاعَةُ السَّحَرِ .
كَأَنَّمَا تَنْبُضُ فِي غَوْرِيهِمَا، الثُّجُومُ (1)
وَتَغْرُقَانِ فِي ضَبَابٍ مِنْ أَسَى شَفِيفٍ .
كَالْبَحْرِ سَرَّحَ الْيَدَيْنِ فَوْقَهُ الْمَسَاءُ .
بِفَاءِ الشَّتَاءِ فِيهِ وَارْتِعَاشُهُ الْخَرِيفُ .
وَالْمَوْتُ، وَالْمِيلَادُ، وَالظَّلَامُ، وَالضِّيَاءُ . (2)
فَتَسْتَفِيقُ مَلَأَ رُوحِي، رَعِشَةُ الْبُكَاءِ .
وَتَشْوَةُ وَخْشِيَّةٌ تُعَانِقُ السَّمَاءَ .
كَنَشْوَةِ الطُّفْلِ إِذَا خَافَ مِنَ الْقَمَرِ !
كَأَنَّ أَقْوَاسَ السَّحَابِ تَسْرُبُ الْغُيُومَ .
وَقَطْرَةٌ فَقَطْرَةٌ تَدُوبُ فِي الْمَطَرِ
وَكُرْكُرُ الْأَطْفَالِ فِي عَرَائِشِ الْكُرُومِ .
وَدَغْدَغَتِ صَمْتِ الْعَصَافِيرِ عَلَى الشَّجَرِ .
أَشْوَدَةُ الْمَطَرِ
مَطَرٌ
مَطَرٌ
مَطَرٌ (3)
تَتَأَبَّ السَّمَاءُ، وَالْغُيُومُ مَا تَرَالُ .
تَسِحُّ مَا تَسِحُّ مِنْ دُمُوعِهَا الثَّقَالُ .
كَأَنَّ طِفْلاً بَاتَ يَهْدِي قَبْلَ أَنْ يَنَامَ :
بِأَنَّ أُمَّهُ - الَّتِي أَفَاقَ مِنْذُ عَامٍ .
فَلَمْ يَجِدْهَا، ثُمَّ حِينَ لَحَجَّ فِي السُّؤَالِ .
قَالُوا لَهُ: "بَعْدَ عَدِّ تَعُودُ -
لَا بُدَّ أَنْ تَعُودُ .

الواسعة للفظ (دابة) فالدابة في اللغة: اسم يطلق على لما دب من الحيوان، مميزة وغير مميزة. (ابن منظور، 1994) (79) وعلى هذا المعنى العام جاءت الآية الكريمة ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (80)

بيد أن الدلالة تضيق وتتسع وكلمة دابة ضاقت دلالتها لتقتصر على ما يركب؛ فقد غلب هذا الاسم على ما يُركب من ذوات الأربع من الدواب. (ابن منظور، 1994) (81) فالمتكلم عندما قال: "هو يبيع الدواب". فهم المتلقي أن المقصود بالدواب هي التي تُركب من الخيل والبغال والإبل وغيرها، لكن المتكلم أراد لفظة الدابة بمعناها العام الواسع، فقد كان الرجل يبيع السنانير فلما راجعوه بما قاله احتج عليهم بأن السنور دابة والسنور هو الهر، وجمعه سنانير. (الجاحظ، 1965) (82) ووجه المغالطة التي وقع بها المتلقي هي: أن الرجل الذي يبيع الدواب - على ما فهمه - هو من المعنى الضيق الذي استقرت عليه اللفظة، وهو ما يركب من الدواب، ويكون بذلك تاجرًا صاحب مال، لكن ما وجده من حال الرجل أنه كان يبيع السنانير، وهذا يعني أنه فقير معدم.

وأما قول من سُئِلَ عن رجلٍ، فقال: "رزين المجلس نافذ الطعنة". فحسبوه سيِّدًا فارسًا، فلما تحرّوا أمره وجدوه يعمل خياطًا! فسُئِلَ عن ذلك، فاحتج عليهم بأنه قصد بذلك؛ أنه يطيل الجلوس، ويجيد الطعن بالإبرة.

فالرزين هو : الثقيل من كل شيء . ويقال: رجل رزين؛ أي ساكن، فالمعنى الحقيقي للفظ يدور حول النقل والسكون والاستقرار في المكان. (ابن سيده، 2000) (83) فالمتكلم عندما قال: رزين في مجلسه، قصد المعنى على الحقيقة بأنه مستقر ساكن؛ أي يطيل الجلوس، وهذا الذي لا ينصرف إليه فهم المتلقي؛ لأن معهود العرب في الخطاب يقتضي أن الرجل الرزين في مجلسه هو الرجل الوقور؛ فالرزانة من الوقار، وترزن الرجل في مجلسه إذا توقّر فيه، وقيل الرجل الرزين: أصيل الرأي؛ (ابن منظور، 1994) (84) فإذا نسب أحدهم الرزانة إلى شخص معين فإنه يقصد من وراء ذلك بأنه سيّد حكيم، ولا يقصد بأنه يطيل الجلوس في مجلسه، وإن كان هذا المعنى تحتمله اللفظة، لكنه لم يحقق المقبولية عند المتلقي في ضوء معهود الخطاب العربي.

وفي قوله: "نافذ الطعنة" في وصف الرجل. ينصرف فهم المتلقي إلى أن الرجل فارس يجيد الطعن بالرمح والسيوف. فطعنة نافذة: منتظمة الشقين، وإذا قيل طعنة نافذة؛ أي جاوزت الجانب الآخر. (ابن منظور، 1994) (85) وهذا لا يدركه إلا

تفصل بين الليل والنهار، وهي ساعةٌ جذّذ ث ث ث، (96) وفيها تنمّ ولادة الطبيعة من جديد، وتبدأ فيها الحياة من جديد، ومنها تنبتق الزهوة والرخاء، أو هما مثل شُرْفَتَيْن ينورهما القمرُ عن بُعدٍ، وحين تنبسم هاتان العينان طَفِقَتِ الكرومُ تُظهِرُ أوراقها، وترقصُ الأضواء وتتحرّكُ من شدة البهجة، كأنها أقمارٌ في نهرٍ يرُجُّه مجذافُ السفينة رَجًّا ضعيفاً وقتَ السّحر، وكأنّ النجومَ تتحرّكُ في قَعْرَيْهِمَا. الفقرة الثانية: "وتغرّقان في ضبابٍ من أسَى شَفِيفٍ والموت، والميلاد، والظلام، والضياء". الضباب: سحب رقيق كالغبار يغشي الأفق. (ابن سيده، 1996) (97) الأسَى: الحزن. الشَفِيف: الذي يُحْرِقُ الأكباد ويُهْزِلُ الجسم ويضمّره. (ابن منظور، 1990) (98) سَرَحَ: أرسل وأطلق. الدَّفءُ: السخونة. الازتِعاشُ: الاضطراب وعدم السكون في الجسم.

جاءت هذه الفقرة نقيضاً للوضع السابق؛ فذلك صباح الفأل والخير، وهذا مساء الشؤم والشر، ويقول الشاعر: أما إذا تغرّق هاتان العينان وتضمحلان في ضبابٍ من أسَى شَفِيفٍ؛ فإنهما تصبحان مثل البحر الذي غشاه المساء بيديه وسرّجهما فوقه، ومن ثم تتعكس حالة الجوّ؛ فينقلب فيه ارتعاشُ الشتاء سخونةً، وسخونة الخريف ارتعاشاً، وتلتبست الحياة؛ فيختلط فيها الموت بالميلاد والظلام بالضياء.

الفقرة الثالثة: "تَسْتَفِيقُ مِلءَ رُوجِي، رَعَشَةُ الْبُكَاءِ ... مَطَرٌ". تستفيق: تُفِيقُ وتنبعث. نشوة: نهوض أو انبعاثٌ غير مستأنسٍ. الغيوم: جمع غيم وهو سحب يسدُّ رؤية الشمس من شدة الظلال والظلام. (ابن سيده، 1996) (99) تَدُوبُ: تسيل ولا تجمد. (ابن منظور، 1990) (100) كَرَكَزَ: عادَ مراراً وتكراراً. (ابن منظور، 1990) (101) عَرَائِشُ الْكُرومِ: عَرَسُ الكرْم ما يُدَعَم به من الخشب. (ابن منظور، 1990) (102) الدَّغْدَغَةُ في البُضْع وغيره: التحريك، والطعنُ عليه. (ابن سيده، 1996) (103) (ابن منظور، 1990)

يقول الشاعر مُنْفَعِلاً من هذا الوضع المشؤم ومتفاعلاً به راداً للفاعل: نتيجة لهذا الانقلاب الذي أصاب الحالة الطبيعية تستفيق رَعَشَةُ الْبُكَاءِ مِلءَ رُوجِي، وتنهضُ معها نشوةٌ وَحْشِيَّةٌ غيرُ مستأنسةٍ تُعَانِقُ السَّمَاءَ، كما ينهض الطفل نهوضاً غير مستأنسٍ تجاه القمر إذا خاف منه! وأصبح الوضع كالسماوات التي يتلاشى فيها السحاب، وغدتِ الغيومُ المتوقّعة منها انهمارُ الماء تَدُوبٌ في المَطَرِ قَطْرَةً قَطْرَةً، وبدأتِ الأطفالُ يتكرّرون في عَرَائِشِ الْكُرومِ واتخذوها مَلْعَباً، وصارت العصافير صامتةً على أغصانِ الشجر، تلعن صَمْتَهَا وتطعنُ فيه أنشودةُ المَطَرِ..... مَطَرٌ مَطَرٌ مَطَرٌ الفقرة الرابعة: "تَتَأَبَّ السَّمَاءُ، والغُيومُ ما تَرَالُ ... تَسْفُ مِنْ

وإن تهامسَ الرِّفَاقُ أَنَّهَا هُنَاكَ. في جَانِبِ النَّلِّ تَنَامُ نَوْمَةً اللَّحُودُ. تَسْفُ مِنْ تَرَابِهَا وَتَشْرَبُ المَطَرُ. (4) كَأَنَّ صَيَّادًا حَزِينًا يَجْمَعُ الشَّبَابُ. وَيَلْعَنُ المِيَاءَ وَالْقَدْرُ. وَيَنْتَرُ الغِنَاءَ حَيْثُ يَأْفُلُ الْقَمَرُ. مَطَرٌ

مَطَرٌ (5) أَتَعْلَمِينَ أَيَّ حَزْنٍ يَبْعَثُ المَطَرُ؟ وَكَيْفَ تَنْشُجُ المَرَارِيبُ إِذَا انْهَمَزَ؟ وَكَيْفَ يَشْعُرُ الْوَجِيدُ فِيهِ بِالضِّيَاءِ؟ بِلَا انْتِهَاءٍ - كَالدَّمِ المُرَّاقِ، كَالْجِيَاغِ،

موقف المتلقي: ونحن في إطار القراءة التصويرية العامة لهذه القصيدة نرى تجزئتها إلى ثماني عشرة فقرة أساسية لنتمكن من بيان مفرداتها وتفصيل معانيها الفكرية العامة، وقد اخترنا خمسة أجزاء بسبب حدود هذه الدراسة أو المقال، أما في اتساع الدلالات فسوف نتوسع ونأخذ من القصيدة كلها، لأن القصيدة تعبر عن فكرة متكاملة أراد بدر السياب التعبير عنها في أبعاد اجتماعية وسياسية وثقافية، كما يأتي:

الفقرة الأولى: "عَيْنَاكَ غَابَتَا نَحِيلُ سَاعَةَ السَّحَرِ كَأَنَّمَا تَنْبُضُ فِي غَوْرَيْهِمَا، الثُّجُومُ".

غابتا: مثني غابة، وحذفت النون لإضافتها إلى النخيل، والغابة: غَيْضَةٌ ذاتُ شَجَرٍ كثيرٍ، وهي على تسعة أميالٍ من المدينة. (ابن منظور، 1990) (88) السَّحَرُ: بتسكين الحاء أو بفتحها آخر الليل قبيل الصُّبْح. الشُّرْفَةُ: أعلى الشيء وخياره. (ابن سيده، 1996) (89) تَبْسُمَانِ: تبتسمان، وهو أقل الضحك وأحسنه. (ابن منظور، 1990) (90) ثَوْرُقُ الْكُرومِ: يظهر ورَقُها تماماً على أحسن حالٍ، والكروم جمع كَرْمٍ وهو شجرة العنب. (الجوهري، 1987) (91) يَرْجُهُ: يُحْرِكُهُ وَيَزَلْزِلُهُ. (ابن منظور، 1990) (92) المَجْدَافُ: آلةٌ كَعُودٍ تُسَيَّرُ بها السفينة. (الجوهري، 1987) (93) تَنْبُضُ: تتحرّكُ بالبهجة والسرور. (الجوهري، 1987) (94) غَوْرَيْهِمَا: قَعْرَيْهِمَا. (ابن منظور، 1990) (95)

حيث يمكن إعادة ضمير المخاطبة التي ابتدأ بها الشاعر قصيدته إلى الحالة الطبيعية التي يعيشها الخليج العربي بما فيه العراق قديماً وحديثاً، وهي حالةٌ يحكمها قانونُ هَطْلِ المطر الدائم الضَّغْبِ والسُّكون. وسيفهم المتلقي ما قصده الشاعر بأن هذه الحالة بوجهيهما أو عينيها الناضرتين (يعني الليل والنهار) هما حسب الوضع مثل غابتي نخيل في ساعة السحر التي

تُرَابِهَا وَتَشْرَبُ الْمَطَرَ".

تَسِيحٌ مَا تَسِيحُ: بكسر السين وضمها تَصُبُّ ما تَصُبُّ. (ابن منظور، 1990) ⁽¹⁰⁴⁾ يَهْذِي: يقول كلاماً غير معقول. (ابن منظور، 1990) ⁽¹⁰⁵⁾ الهمس: الخفي من الصوت. التل: كومة من التراب أو الرمل. (ابن سيده، 1996) ⁽¹⁰⁶⁾ تَسَفُّ من ترابها: تأخذ منه وتتأوله يابساً. (الجوهري، 1987) ⁽¹⁰⁷⁾

يقول: ما يفتو هذا المساء المشؤوم يمضي على حاله ويتنأب، وما تزال الغيوم تسيح ما تسيح من دموعها النقال، وأصبح هذا الوضع السيء كحالة الطفل الذي بات، ويهذي قبل أن ينام بأن أمه - التي حملته ووضعتة وأفاقته حياً منذ عام ولم يجدها - لا بد أن تعود، ثم حين لج في السؤال، أجابه الناس وقالوا له: "بعد غد تعود"، حتى وإن تهامس هؤلاء الرفاق بينهم بأنها حقيقة هناك في جانب التل تنام نومة المدفون في اللحد، تسف من ترابها، وتشرب من مياه المطر الذي لا يجدي ولا يسمن، فإن الطفل سيلج على سؤاله عنها، مصيراً على أنها "لا بد أن تعود".

الفقرة الخامسة: "كأن صياداً حزيناً يجمع الشباك ... مطر

.....".

ينثر الغناء: يبت الغناء ويكثره. يأفل: يغيب.

يقول: إن هذا الوضع الحالي السيئ أصبح كحالة الصياد الحزين الذي يجمع شبابه لسوء الحظ من عدم نيل لحوم البحر، فبدأ يلعن المياه والقدر، ويبت أنشودة المطر في الهواء متجهاً حيث يأفل القمر صارخاً: مطر مطر

بناء السياق: يمكن عبر هذه القصيدة توجيه ما قاله أمباتو إيكو Umberto Eco بأن نصاً ما إذا ما أدخل في قارورة زجاجية، يعني حينما ينتج صاحبه، علماً أن هذا الأمر - كما قال - ليس يحدث فقط للشعر أو النثر، بل يحدث أيضاً لما يطلق عليه "تقد العقل المحض" *The Critique of Pure Reason*، لا يقصد به مخاطباً واحداً وإنما يخاطب به مجتمعاً من القراء، وهو يعلم أن خطابه قابل للتأويل، ليس منحصرًا على مقصوده فحسب، بل سيتجاوز هذا التأويل حد ذاته أيضاً، مستنداً على احتكاك من الاستراتيجيات المعقدة التي سوف يفرزها مجموعة من القراء اعتماداً على تمكّنهم الحضيف في الاستعمال اللغوي بصفته الذخيرة الاجتماعية، ولا يعني بهذه الذخيرة الاجتماعية مجرد تلك المعطيات اللغوية من سلسلة القواعد النحوية فحسب، وإنما تنطبق هذه الذخيرة أيضاً على كل الموسوعات التي تضم الأعمال أو الأفعال الكلامية التي تندرج تحت أنماط اللغة المعنوية وضوابطها وأساليبها الخطابية، حتى الأغراض والمعاني المتداولة التي تألفها هذه اللغة في

الاتصال والتلقي. (Umberto, 1992) ⁽¹⁰⁸⁾ على هذا الأساس، فإن هذه القصيدة تؤدي دورها الترويجي لظهور حركة الشعر الحر، ويعكس لنا واقع الحياة، وتحمل بين ثناياها آمالاً شاملة وعريضة تؤسس مفاهيم توجيهية تؤهم أن القصيدة ليست للأمة العربية فحسب بل للإنسانية جمعاء؛ إحقاقاً للعيش الأفضل والحياة المثلى، (حلو، 2000) ⁽¹⁰⁹⁾ وتنبئ كذلك أن منتج الخطاب نفسه لم يخاطب به المجتمع العراقي ولا شعب الخليج العربي فقط، وإنما يقدمه على المستوى العالمي ويخاطب به بني البشر قاطبة بما فيهم السود والبيض، عرضاً للأزمة المفطعة التي تعيشها الإنسانية حديثاً، وحلاً للمعضلات المعاصرة التي تعاني منها، غير أن الشاعر جعل العراق (مسقط رأسه) نموذجاً لمحطة البث على الرغم من أن القصيدة قد تم نظمها في دولة الكويت بعيداً عن أرض العراق، ولذلك قال في كلمة المقدمة: "من وحي أيام الضياع في الكويت على الخليج العربي"، (بلاطة، 1987) ⁽¹¹⁰⁾ وأما استخدام بدر للصور أو الرموز غير الأسطورية؛ مثل قوله:

"وترقص الأضواء ... كالأقمار في نهر.

يرجئه المجذاف وهنا ساعة السحر"، وقوله:

"... فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد.

أو حلمة توردت على قم الوليد.

في عالم الغد الفتي، واهب الحياة!"

والدلالات الأسطورية؛ مثل:

"كأن طفلاً بات يهذي قبل أن ينام:

بأن أمه - التي أفاق منذ عام.

فلم يجدها، ثم حين لج في السؤال.

قالوا له: "بعد غد تعود" -

لا بد أن تعود.

وإن تهامس الرفاق أنها هناك.

في جانب التل تنام نومة اللحد.

تسف من ترابها وتشرب المطر".

اتساع الدلالات

في هذه القصيدة فإنه من العوامل التي تجعلها عنصراً يدخل في إطار "مكونات التجربة الشعرية والشعرية الحديثة" التي تنعكس منها الحقيقة والواقعية المثالية في الحياة، دون أن يخل بها الزخارف البديعية. (البطل، 1982) ⁽¹¹¹⁾ المفهوم السياسي: لا خلاف في أن بدرًا بث هذه القصيدة إثر الحرب العالمية ومناسبة للوضع العراقي السياسي الذي لم يبشر الناس بالخير نتيجة التأثير السلبي الذي لقيه هو وغيره

– 1526 –

"كَأَنَّ طِفْلاً بَاتَ يَهْذِي قَبْلَ أَنْ يَنَامَ:
بِأَنَّ أُمَّهُ - الَّتِي أَفَاقَ مِنْذُ عَامٍ.
فَلَمْ يَجِدْهَا، ثُمَّ حِينَ لَحَجَّ فِي السُّؤَالِ.
قَالُوا لَهُ: "بَعْدَ عَدِّ تَعُودُ"..... -
لَا بُدَّ أَنْ تَعُودَ."

حتى وإن تهامس الناس بينهم بأن مثل هذه الحياة السعيدة من المتوقّعات الوهمية الميّنة التي لا تحيا أبداً، وظنوا أنها حقيقة الاستحالة، فضلاً عن أنها تحقق للإنسانية الحياة العصرية الراقية:

"وإن تهامس الرفاق أنّها هناك.
في جانب التلّ تنام نومة اللّحود.
تسّف من ثرابها وتشرّب المطر."

ولعل ما شجّع بذراً على الإصرار على إمكانية عودة مثل هذه الحياة السعيدة والرائعة هو ما مرّ في تاريخ بغداد مثلاً، بصفتها عاصمة العراق وحاضرة العالم الإسلامي في تلك العصور الذهبية، وما أحرزته آنذاك من التقدم العالمي المشتهر في مختلف مجالات نُظُم الحياة، ولاسيما في النظام الاجتماعي، وطال بها الأمد، ولا يخلو وراء هذا التقدم عزائم أهل الرئاسة وأولئك الولاة العاملين، وإسهامات العلماء المهتمين في تغيير الوضع الاجتماعي والعمل على تفعيل الدمج الحضاري الحيّ الذي عبره تم التمثيل الأفضل للشؤون الاجتماعية آنذاك. (ضيف، 1966) (120) والأمر هكذا حينما ننظر إلى بعض الدول التي تعاني من فتنة التفكك أو التكتّل الاجتماعي في العصر الحديث، نجد أنه قد مر بها زمنٌ ساد فيها النفاق والتكافل الاجتماعي بشكل أمثل، ولا يستغني ذلك عن أمور اجتماعية ناجعة قد أرمَع على إمضاءها أهل العدل والصفاء والإخلاص قبل أن ينقلب الوضع فيها شقاءً؛ ففي ذلك دليل على ما أصرّ عليه بذّر أن مثل هذه الحياة الاجتماعية السعيدة لا بد أن تعود، وأنه ليس من المستحيل أن تعود، إذا استعدّ الحكام والولاة بإحكام الحكم بين الناس بالقسط، وساسوهم بكل تقيظ ونبذ الأنانية.

المفهوم الاقتصادي: يلفت بدر أنظار الناس إلى إدراك مفهوم الرسالة الاقتصادية التي تحملها هذه القصيدة، وقد كرّر هذا المفهوم في كلا الفقرتين الثامنة والخامسة عشر حيث كان يصيح بالخليج، وبه وما يحويه من الموارد الاقتصادية المعتمدة في العالم التي صرّح بها مثل اللؤلؤ وأصداف الدرر، وغيرها مما لم يصرّح بها وينبغي أن يُوجد بالضرورة في الخليج وفي كثير من دلتوات العالم مثل الغاز الخام والنفط الخام وغيرهما، غير أن الوضع الراهن لم يسمح بالاستفادة من هذه الموارد بالفعل في كثير من الدول، فقولته:

المظلومين، ولم يعين في ذلك دولة ولا شعباً، ما هي إلا إرهافات أمن واطمئنان، وبشارات ابتسام مُفَعِّم برائحة الخير الدائم في المستقبل الأنيق النير:

"في كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَطَرِ.
حَمَرَاءُ أَوْ صَفَرَاءُ مِنْ أَجْنَةِ الرَّهْرِ.
وَكُلُّ دَمْعَةٍ مِنَ الْجِيَاعِ وَالْعُرَاةِ.
وَكُلُّ قَطْرَةٍ تُرَاقُ مِنْ دَمِ الْعَيْدِ.
فَهِيَ ابْتِسَامٌ فِي انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيدٍ.
أَوْ حَلْمَةٌ تَوَرَدَتْ عَلَى فَمِ الْوَلِيدِ.
فِي عَالَمِ الْعَدِّ الْفَتِيِّ، وَاهِبِ الْحَيَاةِ!"

المفهوم الاجتماعي: إن الرسائل التي تحملها قصيدة أنشودة المطر توجي بعض الأمور التي تثير ضرورة الانتقال من المجتمع التقليدي الإيمع الذي يُطَبِّع في الغالب بطابع الخشونة البدائية إلى مجتمع آخر جديد، يتسم بالنعومة ويُصَفِّي المشاعر والأبعاد، وينفّح مُذْرَكَات الناس الحسية والمعنوية، ومن ثم يدعو الجماهير كلها إلى الخروج من التعصب القومي إلى الاشتراكية الاجتماعية الواقعية المثالية. (بلاطة، 1987) (117) وقد كانت خلفية هذه القصيدة نفسها أول ما يعطينا مفتاح هذا اللغز، إذ كان الشاعر ذاته قد أبدع في الشعر وانفصل من الأسلوب القديم في الشعر إلى الجديد، (ميا، 1999) (118) وصقل قالب نظم قوافيه، وانتقل من صعيد المجتمع التقليدي الذي كان يخاطب القلوب بالشعر العمودي إلى مجتمع آخر جديد يتبنّى إيقاعات الشعر الحر في مخاطبته القلوب والعقول معاً، وفي الوقت ذاته يطالب المخاطبين جميعاً بضرورة تصفية الأساليب والأنظمة التقليدية المألوفة في تصميم الهيكل الاجتماعي وبنائه، أو الانتقال منها إلى الأفضل المعاصر الذي يوفر للإنسانية السعادة الأبدية المتواصلة، والتي تدوم وتتجدد وفق حاجاتهم في كل عصر، وينبّه على أن مثل هذا الوضع الجديد ليس مستحيلاً أن يتحقق في حياتنا الاجتماعية المعاصرة بواسطة صدق الحزم والعزم من جهة كِلا الطبقة الحاكمة الخاصة والمحكومة العامة؛ فمن أقرب خطاب يشير إلى هذا المفهوم أيضاً قوله في الطفل الذي بَاتَ، وَيَهْذِي قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ضرورة عودة أُمِّهِ الَّتِي أَفَاقَتْهُ وَأَعَانَتْ عَلَى الْحَيَوَةِ "مِنْذُ عَامٍ"، وبدر لا يعني بقوله: "مِنْذُ عَامٍ" سنّة كاملة كما نَعُدُّها، وإنما يشير به إلى عدد من العصور الماضية التي قد شهد الناس فيها التطور الهائل من الناحية الاجتماعية والدينية وغيرهما في جميع الأقطار قبل أن تنبري له مصيبة التفكك أو التكتّل الاجتماعي، (ميا، 1999) (119) ولذا يُصِرُّ متفانلاً على أن مثل هذه الحياة السعيدة السالفة في التاريخ الإنساني يمكن أن تتحقق في حياتنا الاجتماعية المعاصرة، فلا بد أن تعود:

"يَا وَاهِبَ اللُّؤْلُؤِ، وَالْمَحَارِ، وَالزَّيْدَى!".

فَيَرْجِعُ الصَّدَى.

كَأَنَّهُ النُّشَيْجُ.

"يَا خَلِيجُ.

يَا وَاهِبَ الْمَحَارِ وَالزَّيْدَى....."

ثم قوله:

"وَيَنْثُرُ الْخَلِيجُ مِنْ هِبَاتِهِ الْكَثَارَ.

عَلَى الرَّمَالِ رَغْوَةَ الْأَجَا، وَالْمَحَارَ."

وكل ذلك ينبّه به الشاعر الجماهير على أن ثمة الموارد الطبيعية الاقتصادية في جميع بقاع الأرض وخاصة ما تطل منها على المحيط أو البحر، ويدعو إلى ضرورة الاستغلال بها استغلالاً ينمي الإنسانية ويوفر لها الحياة الصالحة في البدو والحضر، وهو في الوقت ذاته يشجّع جميع من لهم الدّخل والنفوذ في الإدارة العامة والخاصة، والمؤهلين الاقتصاديين على عدم اعتبار الأزمة التي تعترى النظام الاقتصادي أحياناً مثل الفشل والإفلاس والرسوب في التنفيذ، وهذا الذي عبر عنه الشاعر بتكرار الصدى الذي يأتي بصوت كالنشيح ويهدّد العموم بالزّدى ويعدهم بالفقر والقحط. وكذلك ما يحدث أحياناً من استبداد بعض الولاة وأصحاب الرئاسة في تبذير الثروة العامة واختلاسها، والأكل من نتائج الموارد الطبيعية والاقتصادية، ويتركون الناس ضحايا للبطالة والمجاعة ليشتبعوا هم بصفتهم الطبقة الحاكمة دون أن يشعّ المحكومون، ولهذا شبّههم الشاعر بالغربان التي ليس لها من الأكل غالباً إلا الميتة والخبائث، وشبّههم بالجراد التي تأتي الزرع لتأكله أو لتبيده؛ (عوض، 1983) (121) فقال:

"وَيَنْثُرُ الْغَلَالُ فِيهِ مَوْسِمَ الْحَصَادِ.

لِتَشَبَعَ الْغُرَبَانُ وَالْجَرَادُ."

فضلاً عن هذا، قد صوّر الشاعر تصرّف الاقتصاديين حينما تلتبس عليهم المخططات الاقتصادية، ويؤدي الأمر بهم إلى الخسارة والإفلاس في الحساب، وإلى التضخّم الفاحش في العملة بحيث لا يجد التجار من تجارتهم ما يربّوها، ولا ينال أصحاب الحرفة من أرباح أعمال أيديهم إلا نقفاً، كما يحدث في كثير من الدول في العصر الحديث، أو تعود جهود جميعهم فاشلاً تماماً، ويصبح العمل والبيع والشراء في نظرهم خبيثاً لا يخرج إلا نكدًا؛ ويسبّون الدهر ويطعنون فيه، ويلعنون المطر والقدر مثل قانص الأسماك بالشباك ولم تأت أسماكهم أيام الاصطياد ثم بدأ يلعن المياء والقدر، وينعى حظّه من نزول المطر بأنشودة المطر كما قال بدر:

كَأَنَّ صَيَّادًا حَزِينًا يَجْمَعُ الشَّبَاكَ.

وَيَلْعَنُ الْمِيَاءَ وَالْقَدَرَ.

وَيَنْثُرُ الْغِنَاءَ حَيْثُ يَأْفُلُ الْقَمَرُ.

مَطَرٌ.....

مَطَرٌ.....

المفهوم الثقافي: إن أول ما طلع به بذّر علينا في إطار هذا المفهوم هو ما ورد في مخاطبته الحالة الطبيعية حينما يسألها عن علمها بما يبعث المطر من الحزن وعدم الابتهاج، وما يأتي من المزاريب أو مجاري المياه من صوت كالنشيح حينما ينهمر المطر في العصر الحديث، ومن ثم تبقى مشاعر الإنسان المعاصر وأبعاده عقيمة وعديمة النفع في السير مع موكب التطور العلمي الحديث وفي تكوين الأوضاع المناسبة للإنسانية، فالضائع الوحيد الذي يتيمّمه الشاعر في قوله:

"... وَكَيْفَ يَشْعُرُ الْوَحِيدُ فِيهِ بِالضِّيَاعِ؟"

هو ذلك الناشئ الذي ينتظر من يقوم بتربيته وإرشاده وتوجيهه بشكل يستطيع أن ينمي به مواهبه، ويؤدي به دوره بصفته مواطناً صالحاً ومعتمداً في إصلاح المجتمع، وإذا كان مثل هذا الإنسان لم يُوقّق بالنظام الثقافي الناجع، أو لم يُخطّط له من يقوم بتربيته ويستأنس به في حياته الثقافية؛ فإنه سيبقى وحيداً ويشعر في المطر "بالضياع"، وليس هذا فقط، بل سيحدث من مصيبة جهله أو عدم تربيته مختلف أحداثٍ شنيعة تتواصل "بلا انتهاء" تقريباً، ويعاني منها المجتمع بأسره مثل: البطالة والاغتيال وإسفاك الدماء وعدم الانضباط والتدمير وغيره، مما يجعل المرء لا يعتقد من حالة الطبيعة ولا نزول المطر إلا الحزن أو الأسى الشفيف؛ فكان ذلك مما جعل بدرًا يحاول إزالة اغترابه بأساسيات هذه القصيدة، (الشقيرات، 1987) (122) والوضع الثقافي هكذا عند كثير من المعاصرين، وفي بعض الدول، وليس في العراق أو الخليج العربي فقط، مما أدى بالشاعر إلى القول:

"أَتَعْلَمِينَ أَيَّ حُزْنٍ يَبْعَثُ الْمَطَرُ؟

وَكَيْفَ تَنْشُجُ الْمَزَارِيبُ إِذَا انْهَمَزَ؟

وَكَيْفَ يَشْعُرُ الْوَحِيدُ فِيهِ بِالضِّيَاعِ؟

بَلَا انْتِهَاءَ - كَالدَّمِ الْمُرَاقِ، كَالْجِيَاعِ،

كَالْحُبِّ، كَالْأَطْفَالِ، كَالْمَوْتَى - هُوَ الْمَطَرُ."

خلاصة التحليل: تتضمن قصيدة أنشودة المطر مفاهيم مريعة راقية توهُّل مقبوليتها؛ أنها ليست للأمة العربية فحسب بل للإنسانية جمعاء؛ إحقاقاً للعيش الأفضل والحياة المثلى، وتنبؤاً أن المخاطب نفسه لم يخاطب به العراق ولا الخليج العربي فحسب، وإنما جعلهما محطةً للبثّ ليخاطب العالم برمته، ونرى أن من أبرز هذه المفاهيم: السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

الخاتمة

انجست من البحث مجموعة من النتائج التي استخلها الباحثان في دراستهما لمعيار المقبولية، ويمكن أن نجملها على النحو الآتي:

1- اهتم أصحاب نظرية التلقي بالقارئ بوصفه الطرف الثاني في العملية الإبداعية، وظهرت تبعاً لذلك أنواع عدّة للقراء؛ إذ غدا كل منهم يرسم صورة للقارئ تتماشى وفق ما ذهب إليه من منهج في قراءة النص وسبر غوره، ومن أهم أنواع القراء: القارئ الضمني لدى فولفغانغ إيزر، والقارئ النموذج لدى أمبرتو إيكو، والقارئ الأعلى لدى ميشيل ريفاتير، والقارئ المقصود لدى إورين وولف، والقارئ المخبر لدى ستانلي فيش، وقد أشار الجاحظ إلى القارئ المقصود الذي تحدث عنه وولف، ووقف ابن قتيبة على القارئ الأعلى الذي تحدث عنه ريفاتير.

2- تمثلت مفاهيم المقبولية عند البلاغيين، عبر المشاركة الإبداعية؛ إذ أدرك البلاغيون القدامى دور المتلقي في العملية الإبداعية، فالمتلقي قسيم المبدع في عمله يشارك به مشاركة فاعلة تمنحه الحياة والتجدد، وأما أفق التوقع فقد ظهر لدى العرب القدامى عبر ما كانوا يتوقعونه للشعر استناداً إلى ما يتحصل عندهم من المعرفة الأولية لمعنى الأبيات؛ فتأتي

الهوامش

- (1) يدل مفهوم الاتساق على الترابط الذي يميز النص من غيره، فهو شبكة من المفردات والعلاقات النحوية التي تربط الكلمات والجمل في النص، وهو يساعد القارئ على فهم المعاني بالإشارة إلى الكلمات الأخرى التي ترتبط بالعناصر اللغوية المحيطة بها، ومن عناصر الاتساق: الإيجاز، والوصل والفصل، والاستبدال، والإحالة. (Halliday & Hassan, 1976, p8)
- (2) يمثل مفهوم الانسجام العلاقات المفهومية التي تربط أجزاء النص ببعضه بعضاً، ويختلف إدراكها من قارئ إلى آخر. ومن عناصر الانسجام المقام، والتكرار، والتلوين الصوتي وغيرها. (دي بوجراند، 1998، 10)
- (3) الموقفية هي: "تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلةً بين النص وبين موقف لواقعةٍ ما سواء أكان موقفاً حاضراً أم قابلاً للاسترجاع. ونادراً ما تتحقق تأثيرات مقام سياقي معين بدون حدوث التوسط: أي مدى تغذية المرء بمعتقداته وأهدافه الخاصة للنموذج الذي يقيمه للموقف الاتصالي

ألفاظهم مطابقة لصاحب القول وكأنهم في ضميره، مع أنهم لم يسبق أن سمعوه من قبل، وهذا التوقع الذي يتوصل إليه المتلقي يعود إلى المخزون الخبري المتحصل لديه، الأمر الذي جعله ينتخب الألفاظ ويوظفها في إكمال المعنى، حتى إنها تطابق ضمير الشاعر وألفاظه.

3- اختلفت عناية القدامى والمعاصرين بالمتلقي، فمنهم من اعتنى بطبقات المتلقين، فأحكامهم تختلف باختلاف ثقافتهم وعلمهم ومخزونهم الخبري، فليس سيان حكم العامة والسوقة على الأدب، وحكم الناقد الخبير البصير بجوهر الكلام وموضعه، ومنهم من اهتم بالقارئ الأعلى الذي نجده عند ابن قتيبة، والقارئ المقصود الذي نجده جلياً عند الجاحظ، ومنهم من اهتم بهيئة المتكلم ومكانته لما لها من أثر بالغ الأهمية في استجابة المتلقي وتفاعله مع الكلام.

4- مثلت المقبولية اللغوية مبحثاً مهماً من مباحث مقبولية النص؛ إذ يجب أن تتحقق الصحة اللغوية في النص أولاً، والصحة اللغوية تعني أن يحقق النص المقبولية من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية؛ لأن وجود أخطاء لغوية في النص يسبب النفور والاستهجان عند المتلقي، ويجعله ينصرف عن المغزى الذي يقصده المتكلم من النص إلى الوقوف على تلك الأخطاء.

الحالي". (أبو غزالة وإلهام، 1999، 30)

- (4) يقصد بالإعلامية مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النصية المعروضة في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول، والكشف عن تفاعل المتلقي مع عناصر النص غير المتوقعة، انطلاقاً من تصور مؤداه أن النص الجيد يحقق مقاصد منتجة، وينال قبول المتلقي ويستحوذ على إعجابه، لارتفاع درجة الإعلامية فيه. ومعالجة الوقائع ذات الإعلامية المرتفعة أمر يحتاج إلى بذل جهد أكثر من الحالة الأخرى، بيد أنها أكثر إمتاعاً منها، وينبغي أن يلتزم المرء جانب الحيطة والحذر، كي لا تنوء قدرة المستقبلين عن معالجة المعلومات إلى حد تعريض الاتصال للخطر. (محمد، 2010، ص19)
- (5) التناص: "وهو يتضمن العلاقات بين نصٍ ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة". (دي بوجراند، 1998، 104)
- (6) التداولية فرع من علم اللغة (اللسانيات) يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، أو دراسة معنى المتكلم، وهي دراسة اللغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق

- (37) سورة إبراهيم، الآية (4).
- (38) (الجاحظ، 1998، ج1، 11)
- (39) (الجاحظ، 1998، ج2، 39)
- (40) (ابن طباطبا، د. ت، 19)
- (41) (الجرجاني، د. ت، 5-6)
- (42) (الجرجاني، د. ت، 143)
- (43) (الجاحظ، 1998، ج1، 136)
- (44) (ابن قتيبة، د. ت، 74)
- (45) (الجاحظ، 1998، ج1، 136)
- (46) (الجاحظ، 1998، ج1، 91)
- (47) (الجاحظ، 1998، ج1، 89-90)
- (48) (الغزالي، 1993، 67)
- (49) (ابن جني (د. ت، ج1، 34)
- (50) (الجرجاني (د. ت، ج1، 34)
- (51) (الجاحظ (1998، ج1، 74)
- (52) فالفعل (وُلِدَ) فعل ثلاثي مثال فاؤه واو، وعينه مفتوحة في الماضي، أما في المضارع فتكون مكسورة مع حذف الواو، كما هو موضح في الرسم الآتي: وَلَدَ ← تَوَلَدَ ← إعلال بالحذف حُذِفَت الواو ← تَلَدَ.
- (53) (الجاحظ (1998، ج1، 75)
- (54) (الجاحظ (1998، ج1، 75)
- (55) (الجاحظ (1998، ج1، 203)
- (56) (ابن طباطبا (د. ت، 203)
- (57) (الجاحظ (1998، ج3، 366)
- (58) (الجاحظ (1998، ج4، 5)
- (59) (الجاحظ (1998، ج1، 104)
- (60) (الجاحظ (1998، ج1، 116)
- (61) (القرويني (د. ت، 20)
- (62) (الجرجاني (2005، 34-35)
- (63) هو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان ابن بقبلة الغساني. أحد المعمّرين من الدهاة. من أهل الحيرة (في العراق) له شعر وأخبار. يقال: إنه من بنى قصر الحيرة. عاش طويلاً في الجاهلية، وأدرك الإسلام، ولكنه ظلّ على النصرانية، واجتمع به خالد بن الوليد في. (خير الدين، 2002، ج4، ص153)
- (64) (الجاحظ (1998، ج2، 147-148)
- (65) (فندريس، (1950، 231)
- (66) (السمعاني، 1962، ج13، 26)
- (67) (الفراهيدي، د. ت، ج7، 439) مادة (نبط).
- (68) (الجرجاني، د. ت، 408)
- الخطاب وتقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب للوصول إلى المعنى، وإحداث الأثر المناسب وفق قصد المتكلم، وضمان نجاح الخطاب وملاءمته للموقف التواصلية الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامع له. انظر تعريف التداولية عند الغربيين. (مسعود، 2005، 16، Levinson, 1983, p1-5) ;
- (7) (Harris, 1951)
- (8) (Van1, 1972, p63)
- (9) (Van2, 1972)
- (10) (دي بوجراند، 1998).
- (11) (Gillian&Yule, 1983)
- (12) (أبو بكر، 1971، 37)
- (13) (أبو بكر، 2005، 87-88)
- (14) (أبو الفتح، د. ت، 201)
- (15) (دي بوجراند، 1998، 172-170)
- (16) (دي بوجراند، 1998، 171-248).
- (17) دي بوجراند، (1998، 172-170) اختار مترجم كتاب دي بوجراند (النص والخطاب والإجراء) الأستاذ الدكتور تمام حسّان استخدام (السبك) دلالة على الاتساق، و(الحبك) دلالة على الانسجام. وقد اختار الباحث في هذا البحث الاتساق والانسجام.
- (18) (دي بوجراند، 1998، 172-104)
- (19) . (أبو غزالة وإلهام، 1999، 30)
- (20) (محمد، 1999، 55)
- (21) (محمد، 1999، 99-100)
- (22) (بوسماحة، 2006، 280-281)
- (23) (إيزر، 1995، 25-226)
- (24) (إيزر، 1995، 28-29)
- (25) (إيزر، 1995، 30)
- (26) (إيزر، 1995، 30)
- (27) (بوسماحة، 2006، 285-286)
- (28) (سي هول، 1992، 8، 28)
- (29) (سي هول، 1992، 28)
- (30) (الجاحظ، 1998، ج1، 11)
- (31) (ابن طباطبا، د. ت، 19)
- (32) (الجرجاني، 1998، 530)
- (33) (القرطاجني، 1988، 321-322)
- (34) (المرزباني، 1995، 225)
- (35) (المرزباني، 1995، 180)
- (36) (أبو فرج، 1952، ج1، 73)

- (69) (الأزهري، 2001، ج1، 160) مادة (عقل).
- (70) أبو إسحاق: هو إبراهيم بن سيار، المعروف بإبراهيم النظام المعتزلي. ذهب المعتزلة إلى أنه سُمي بالنظام؛ لأنه كان ينظم الكلام المنثور والشعر الموزون وقيل: لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. (الإسفاريني، 1977، 113)
- (71) (الجاحظ، 1998، ج1، 337)
- (72) ابن منظور (1994، ج9، 170) مادة (شرف).
- (73) الجوهري (1987، ج4، 1379) مادة (شرف).
- (74) (ابن منظور، 1994، ج9، 170) مادة (شرف).
- (75) (الزبيدي، 1965، ج23، 493) مادة (شرف).
- (76) (الأزهري، 2001، ج14، 239) مادة (بيت).
- (77) (الزبيدي، 1965، ج4، 458) مادة (بيت).
- (78) (ابن منظور، 1994، ج12، 466) مادة (قدم).
- (79) (ابن منظور، 1994، ج1، 369) مادة (قدم). مادة (دبب).
- (80) سورة النور، الآية (45).
- (81) (ابن منظور، 1994، ج1، 370) مادة (دبب).
- (82) (الجاحظ، 1965، ج6، 574)؛ (ابن منظور، ج4، 574) مادة (سنر).
- (83) (ابن سيده، 2000، ج9، 26) مادة (رزن).
- (84) (ابن منظور، 1994، ج13، 179) مادة (رزن).
- (85) (ابن منظور، 1994، ج3، 514) مادة (نقد).
- (86) (الفراهيدي، د. ت، ج2، 16) مادة (طعن).
- (87) (السياب، 1987، 87-94).
- (88) (ابن منظور، 1990، ج1، 656).
- (89) (ابن سيده، 1996، ج8، 44).
- (90) (ابن منظور، 1996، ج12، 50).
- (91) (الجوهري، 1987، ج5، 402).
- (92) (ابن منظور، 1990، ج2، 281).
- (93) (الجوهري، 1987، ج4، 31).
- (94) (الجوهري، 1987، ج3، 334).
- (95) (ابن منظور، 1990، ج5، 34)
- (96) الدخان: ٤.
- (97) (ابن سيده، 1996، ج8، 162).
- (98) (ابن منظور، 1990، ج9، 179).
- (99) (ابن سيده، 1996، ج6، 30).
- (100) (ابن منظور، 1990، ج1، 397).
- (101) (ابن منظور، 1990، ج5، 137).
- (102) (ابن منظور، 1990، ج6، 315).
- (103) (ابن سيده، 1996، ج5، 357)؛ (ابن منظور، 1990، ج8، 424).
- (104) (ابن منظور، 1990، ج2، 476).
- (105) (ابن منظور، 1990، ج15، 360).
- (106) (ابن سيده، 1996، ج9، 463).
- (107) (الجوهري، 1987، ج4، 81).
- (108) Umberto, 1992, 67-68)
- (109) (حلو، 2000، 37).
- (110) (بلاطه، 1987، 76).
- (111) (البطل، 1982، 117).
- (112) (بلاطه، 1987، 74 - 77).
- (113) (بلاطه، 1987، 77).
- (114) (عوض، 1983، 36).
- (115) (مريم، 60؛ والفرقان: 70).
- (116) (فاطر: 43).
- (117) (بلاطه، 1987، 74).
- (118) (ميا، 1999، 109).
- (119) (ميا، 1999، 54).
- (120) (ضيف، 1966، 44).
- (121) (عوض، 1983، 36).
- (122) (الشقيرات، 1987، 84).

المصادر والمراجع

- عوف، ع. (1985) تاريخ الأدب العربي. القاهرة: (د. ن.).
- إبراهيم، محمد عبد الرحمن، 2010، أبعاد الإعلامية وأثرها في تلقي النص، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، ط1.
- ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن محمد، د. ت، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، د. ت، الخصائص، تحقيق:
- محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل، 1996، 2000، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1. ومطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.
- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد، د. ت، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي القاهرة.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، د. ت. الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، 1990، و1994، لسان العرب، دار

- صادر، بيروت، ط1.
- أبو غزالة، إلهام، وحمد، علي خليل، 1999، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، 2001، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأسفرايني، عبد القاهر بن طاهر، 1977، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2.
- الأصفهاني، أبو فرج علي بن الحسين، 1952، كتاب الأغاني، قام بتحقيقه وتصحيحه مجموعة من العلماء منهم: أحمد زكي العدوي، والشيخ محمد خضر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- إيزر، فولفغانغ، فعل القراءة: نظرية في جمالية التجاوب، د. ط، ترجمة حميد لحمداني والجلالي الكدية، مكتشورات مكتبة المناهل، فاس.
- الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب، 1971م، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3.
- البطل، علي عبد المعطي، 1982، الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب، شركة الربيعان، الكويت، ط1.
- بلاطة، عيسى، 1987، بدر شاكر السياب: حياته وشعره، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- بوسماحة، فريدة، "القارئ وبنية النص"، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، العدد (10)، 2006م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، 1965، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، 2005، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5.
- الجرجاني، عبد القاهر، د. ت، أسرار البلاغة، تحقيق حمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، 1987، تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، 1999، الصحاح، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل الطريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- حلم، أحلام، 2000، النقد المعاصر وحركة الشعر الحر، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ط1.
- دي بوجراند، روبرت، 1998، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، 1965، تاج العروس من
- جواهر القاموس تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت.
- الزركلي، خير الدين بن محمود، 2002، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد، 1962، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1.
- السياب، بدر شاكر، 1987، قصائد، اختيار وتقديم: علي أحمد سعيد أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط3.
- سي هول، روبرت، 1992، نظرية الاستقبال: مقدمة نقدية، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1.
- الشقيرات، أحمد عودة الله، 1987، الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، دار عمار، عمان، ط1.
- صحراوي، مسعود، 2005، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1.
- ضيف، شوقي، 1966، تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط1.
- عوض، ريتا، 1983، أعلام الشعر العربي الحديث: بدر شاكر السياب، المؤسسة العربية، بيروت، ط1.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، 1993، المستصفى تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الفرايدي، خليل بن أحمد، د. ت، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- فندريس، جوزيف، 1950، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد، 1988، منهاج البلاغ وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار العربية للكتاب، تونس، ط3.
- القزويني، أبو المعادي محمد بن عبد الرحمن، د. ت، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد النعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3.
- محمد، عبد الناصر حسن، 1999، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.
- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، 1995، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- ميا، صالح، 1999، النظم الإبداعي عند الشاعر بدر شاكر السياب: تقويمه في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الينابيع دمشق، ط1.
- Eco, Umberto, Interpretation and Overinterpretation, 1992, Great Britain: Cambridge University Press.

The Standards of Acceptability in Robert De Bojerand's Textuality and its Impact on Understanding Contemporary and Heritage Texts: Descriptive and Analytical Study

*Isam Ali, Othman Al-King **

ABSTRACT

This study aims to employ standards textuality, which mentioned by Robert De Bojerand , as acceptability which is not necessarily be present in the text, but two basic criteria in the text form the constituent elements , namely: Cohesion and Coherence. The study conducts to explain the concept of acceptability among contemporary Westerners and Arabs and following the methodology that based on standard of acceptability in two texts in the book of al-Jahid entitled: “al-Bayan wa al-Tabiyiin”. This methodology consists of the following elements: the position of the receiver , the context, the expand of semantic. The conclusions of the study are as follow: focusing on the reception theory of the reader as a second part in the creative process where several types of readers appeared accordingly; Arab ancient’s view of points towards the veteran receiver; where some of them took care of normal recipients and some are interesteing in super reader ; as founded in the work of arab veteran Ibn Qutaibah, the reader in the al-Jahiz book. Focus on the speaker and the situation around him; because this situation impacts in the response of the receiver and his/her interaction with the speech. The acceptability plays an important role in the acceptability of the text.

Keywords: Acceptability, Contemporary, Concepts.

* Department of Arabic Language and Literature, International Islamic University, Malaysia; Ministry of Education, Jordan . Received on 28/10/2014 and Accepted for Publication on 19/3/2015.